قلوب عبير

روميليا لاين

الضائعون

www.elromancia.com

مرمورية

قلوب عبر

HARLEQUIN [illegible]R" – No. K 30

الضائعون

في أوقات الملمات تظهر المزايا الخبيئة لكل منا، والكوارث تقرّب بين القلوب.

حين قابلت جودي السيد بلايك موريسون أول مرة كانت ملابسات الوضع هي التي دفعته الى تكوين رأي خاطىء عنها. وافترض الأسوأ. اعتبرها الفتاة الطائشة الجديدة لرجل عابث هو جيري سومرز مزارع الشاي الذي تخلى عن حبيبته الأولى بعدما تسبب لها بعاهة دائمة في حادث أليم. جودي لم تكترث بأن تشرح له الحقيقة بل قررت تجاهله الى ان يؤدي مهمته، وهي ان ينقلها الى كولومبو حيث لن تراه بعد ذلك.

لكن المهمة كانت شائكة وتحولت الى رحلة قاتلة دامت اسابيع في ادغال نائية مليئة بالاخطار... حيث الموت يحدث بسهولة شديدة والجوع والعطش والحيوانات الضارية مضاعفات... يومية.

لبنان ١٢ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٢ ل.س.	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	مصر ١٢٥ ق	Cyprus P 150

١ - حين قابلت جودي السيد بلايك موريسون للمرة الأولى شاهدها تعانق الفتى اللعوب جيري سومرز. لكن ما بدا عناق عاشقين كان في الواقع عناقاً اخوياً بين قلبين جمعهما.. الحزن.

شقت جودي طريقها بعناد وسط الجموع المتدثرة بالملابس البيضاء وهي تمسك حقيبتها بقوة... كانت البتاه او السوق الشعبي في مدينة كاليوا شمالي شرق سيلان في اشد اوقاتها صخباً. والشوارع الضيقة المكتظة تضج بابواق السيارات القديمة الصاخبة وبصرخات بائعي العربات يطلبون طريقاً لمرورهم، فيما راحت الباصات المنهكة تشق طريقها بصبر بين امواج البشر المتراصة...

تجاهلت جودي الزعيق واجالت بصرها بين الرفوف يمنة ويساراً، بحثاً عن صفقات ناجحة من الخضار والأطعمة... كان الباعة، كما في كل اسواق العالم، يعرضون افضل منتجاتهم بشكل مغر في الواجهة، ثم يقدمون للمشتري انواعاً اقل جودة يضعونها عادة في

المؤخرة. لكن جودي لم تكن لتسمح لأي منهم بخداعها . . . فدراهمها كل ما بقي لها لاحضار الطعام. لا تدري ماذا ستفعل عند نفادها . . .

كانت جودي تكاد لا تصدق أنها منذ اسبوعين فقط كانت تبتاع ما تريد بسرور ودون اي اهتمام بالثمن. ففي زيارتها اليومية للسوق اعتادت ان تملأ سلتها بكل ما لذ وطاب من التوابل والحبوب والخضار وجوز الهند لتعود سريعاً الى البيت متشوقة لاظهار مقدرتها الفائقة في اعداد وجبة كاري من الصنف الممتاز.

منذ اسبوعين فقط! وقتها كان والدها حياً يرزق. اما الآن فبدت الدوائر الزرقاء تحت عينيها شاهد عيان على خسارة جودي الفادحة. عجزت عن الاقتناع بان ذلك حدث فعلاً، فهو كان يجلس الى مكتبه يمازحها ويضحك معها قبل ان ينهار ويسقط ارضاً لافظاً انفاسه اثر نوبة حادة.

بقيت جودي تظن ان مكتب سفريات كويكشاو الذي عملا في ادارته هو مشروع ناجح. الى ان اكتشفت خطأ هذا الافتراض حين انكبت على سجلات والدها بعد وفاته. لقد نجح في اخفاء الحقيقة عنها تماماً . . . فالمكتب كان واقعاً تحت عجز مالي كبير اضطرت في سبيل تغطيته، لبيع سياراته كلها ولدفع كل مدخراتها. وهكذا، لم يبق معها بعد تسديد كل شيء الا بعض النقود وامتعة قليلة. كان ايجار المنزل مسدداً حتى نهاية العام، لكنها لم تقدر ان تتصور نفسها تعيش وحيدة في ذلك البناء الفقير والمتداعي . . .

حولت نظرها على مضض عن صناديق التفاح والمانجا وتابعت طريقها عبر السيل البشري. كانت جودي في الثانية والعشرين من العمر. وبعد ست سنوات من العيش في سيلان او سريلانكا كما

اصبحت البلاد تسمى، باتت معتادة على السير دون وجل وسط الجموع الغفيرة من السنهاليين والتاميل والملاي التي تشكل غالبية رواد سوق المدينة. انساب شعرها البني الكثيف مع غرته الحمراء بطلاقة قرب رأسها راقصاً فوق كتفيها، متناقضاً مع لون عينيها الرماديتين المشعتين سابقاً خفة وحبوراً. كان بريقهما الطبيعي يخفي الكثير من بؤسها الكبير.

تفادت جودي عربة غطتها الأسمال البالية وانحرفت لتدخل في شارع جانبي انتشرت فيه رائحة السمك المجفف والأفاويه. كانت الرائحة مزعجة لكن جودي تحملتها لعلمها ان اسعار الطعام هنا تناسب نقودها المتضائلة . . . عبرت الفتاة رفوفاً امتلأت بالصحون والأواني المنزلية، متفادية بعض الفتيان يركضون حاملين دجاجاً الى صدورهم ثم دارت حول قارىء فأل اعتمر قبعة بيضاء وراح يروي على مسامع زائره اخباراً عجيبة وغريبة. ثم ابتاعت قطعة من سمك المالديف وبعض الاعشاب التي فقدت بريقها.

كانت جودي تحدق بحزمة من الفلفل الأخضر قيد خطوات منها حين حصلت الكارثة . . . فقد دفعها حمال ينوء لاهثاً بأكياس من الأرز لتصطدم بأكداس من القدور والأواني المعدنية التي سقطت كلها ارضاً محدثة قرقعة مدوية . . .

حين شاهد البائع الضخم الملتحي الحادث وارتباك جودي الظاهر مما حصل، اغتنم الفرصة وامسك بكوب نحاسي رفيع وعلى بعض القيمة، ليشير الى خدش فيه مطالباً بثمنه. اخبرته جودي بلغته التاميل انها لا تنوي التعويض عن حادث سببه غيرها، لكن البائع اصر على شكواه مطالباً الفتاة بابتياع الكأس. ثم تجمع حشد صغير حول البائع.

مرت دقائق معدودة تابع البائع خلالها شكواه ومطالبته وابدى الحشد حولهما تأييده له. لكن جودي رفضت ادعاءه الظالم وهي تحاول هضم شعورها المتزايد بالعياء. كانت كل امورها تسوء معاً وتزداد تعقيداً على تعقيد. . . وكيف تسدد للبائع مبلغ الثلاثين روبية ثمن الكأس وهي لا تملك الا اقل من نصفه؟

ناقشته جودي بعناد فاذا به قد استشاط غضباً. من حولهما راح الحشد يتابع ما يجري بلذة غريبة. وهنا برز اوروبي طويل القامة اخترق الصفوف الكثيفة والوجوه العابسة. كان وسيم الملامح، طويلاً ونحيفاً وذا شعر كثيف به بعض الشيب. نظر الى ما يجري وقد لمع بعض المرح في عينيه البنيتين.

- جيمي!

نادته الفتاة وقد تنفست الصعداء. شاهدته يركل بقدمه الأواني والأكواب المعدنية بعيداً عن طريقه واردفت:

- آه كم يسرني قدومك!

ابتسم لها ثم نظر الى البائع اللئيم وعيناه تقدحان شرراً. دون ان يحول نظره عنه اخرج مبلغاً دسماً من المال رماه الى الملتحي وانتزع الكوب النحاسي من يده ليقذفه الى احد المشاهدين خلفه الذي اصابه الذهول. امسك الفتاة من يدها وجذبها بعيداً ليقترح عليها بمرح:

- ما رأيك بتناول بعض المرطبات؟

رافقته جودي دون تردد. . . كان جيري سومرز صديقاً قديماً لوالدها يدير احدى مزارع الشاي في مقاطعة نوارا . لم تكن جودي تراه باستمرار لكنها تعرفه منذ قدومها الى سيلان. دفعها بطريقته المتمهلة عبر الشوارع الضيقة ثم على طريق عام ازدحم فيه السير الى

مبنى قديم يقع عند مفترق طرق.

كانت جودي تعرف مقهى البامبو لأنه المفضل لدى معظم الأوروبيين في البلدة، اضافة الى رجال الأعمال السيلانيين وزوجاتهم.

في الداخل كانت سحب الدخان تلف المكان وتلون الستائر الباهتة والقناديل المزخرفة والنباتات الاستوائية التي طواها الحر الشديد. بدت جماعات من الرجال، بعضها بلباس المدينة الأبيض وبعضها الآخر بلباس الغابات الكاكي تغرق في الحديث. هنا وهناك وقفت ازواج من الرجال والنساء تحت المراوح الضخمة الدائرة ببطء حاملين كؤوس الشراب ومتناسين كل ما يدور حولهم في خضم احاديثهم ومناقشاتهم. كذلك جلس بعضهم الى احدى الطاولات يتسامرون.

كان جيري يعرف بالطبع كل امرأة في ذلك المكان. فأسلوبه اللطيف ونظراته الوسيمة الناضجة يكفيان بجعله اكثر الرجال جاذبية ما ان يبتسم. ذلك، اضافة الى سحر خاص في طريقة كلامه، كان يكفي لدخوله الى قلب اي امرأة مهما علا شأنها.

شقا طريقهما وسط الجمع وهو يلقي تحياته وملاحظاته. جلسا الى طاولة في زاوية هادئة ثم طلب شراب جوز الهند لجودي وله. اشعل لفافة تبغ بالانتظار ثم اقترب من جودي حاجباً الغرفة بمنكبيه العريضين قائلاً:

- سمعت بما حصل لوالدك. انا آسف!

غطت الشفقة مرح عينيه البنيتين وهو يضيف:

- هل كان مريضاً؟

هزت جودي رأسها نافية. لم ترغب بالتحدث عن الموضوع لكنها

قالت:

ـ اظنه الانهاك. الا تذكر كم كنت تطلب منه بان يستريح كفاية؟

قال جيري وهو ينفخ دخان سيكارته:

ـ اتذكر.

ـ كما ان جهوده لم تسفر عن شيء. كان المكتب قريباً من الافلاس. لقد بعت كل شيء كي اسدد الديون المستحقة!

هز جيري رأسه ايجاباً كأنه يعرف كل مشاكل وكالات السفر. ثم سألها بعد لحظات:

ـ وماذا ستفعلين الآن؟

اجابته وقد بان اليأس في نبراتها:

ـ ليتني اعرف.

تاملها جيري ثم رفع الكأس الى شفتيه بطريقته الناعسة والمؤدبة ثم اردف:

ـ هل فكرت في العودة الى انكلترا؟

اجابت جودي مبتسمة بعناء:

ـ مراراً، لكن ذلك يكلف مالاً... اكثر بقليل من الروبيات الستة او السبعة التي بقيت لدي!

مزقت ضحكة رنانة السكون الذي ساد حولها لكن جيري تابع التحديق بالدخان المرتفع نحو السقف وهو غارق في افكاره. نظر الى كأسه وهو يخاطبها بعزم:

ـ بقاؤك هنا وحيدة ما كان ارضى والدك... وربما لن تضطري لذلك.

كانت جودي تعرف جيري جيداً وقدرت، عند رؤيتها لابتسامة شقية ترتسم على شفتيه، ان خطة ما تتكون لديه. انتظرته ليحتسي

جرعة اخرى ثم اصغت اليه يقول:

ـ هل تعرفين ان السيدة ريد جواي تخرج اليوم من المستشفى؟

وافقت جودي بحركة من رأسها وحولت نظرها عنه، فهي لم تجهل الفضيحة التي لاكتها الألسن في كاليوا بخصوص جيري والأرملة غرايس ريد جواي.

كان الاثنان قد انطلقا في رحلة الى الشاطىء منذ اسابيع. خلال عودتهما اصطدمت السيارة بشجرة وقتل زوجان برفقتهما فيما اصيبت غرايس بجراح خطرة واصبحت إسيرة الكرسي المتحرك. جيري وحده نجا دون خدش...

تناقلت الألسن في كاليوا القصة. بعضهم اعتبر جيري مسؤولاً عن الكارثة التي حصلت وامتعض من رؤيته يتابع حياته وتجواله بمزح ويضحك ويلقي النكات كأن شيئاً لم يحصل.

خاطبها جيري وقد دارت كل هذه الأفكار في مخيلتها:

ـ لغرايس شقيقة في انكلترا وافقت على العناية بها. وهي تقول انها ستحجز مقعداً لها على الباخرة تينا التي ترسو في كولومبو خلال اسبوعين.

نظرت جودي اليه بتساؤل قائلة:

ـ وما علاقتي انا؟

قال جيري وهو يرفع كتفيه مستسلماً:

ـ غرايس تريد القيام بالرحلة وحيدة. انها عنيدة كما تعرفين، لكني اظن باني سأنجح في اقناعها بالموافقة على مرافقتك لها للاهتمام بها.

فكرت جودي بعرضه. بعد لحظات امسكت يده على الطاولة وهي تبتسم شاكرة واردفت بتردد:

ـ هذا جميل منك يا جيري، ولكن... اقصد... لا ادري...

دفع كأسه بعيداً ونهض وهو يقول لها بما يشبه التحدي:

ـ فكري في الأمر. غرايس ستكون في ركوانا حين اعود (ركوانا كان اسم مزرعة الشاي التي يملكها جيري) لدي بعض العمل في هذه المدينة، لكني سأمر بك بعد الظهر، قبل عودتي، جهزي حقائبك اذا قررت الذهاب. غرايس ستعتاد على الفكرة في يوم او يومين.

وغادر مبتسماً بكسل وكأنه يتسلى، ناقداً الموظف ثمن الشراب. شاهدته جودي يمازح بعض معارفه وهو يسير خارجاً...

بقيت جودي جالسة لوهلة قصيرة ثم خرجت. تلقفها الحر في الشارع كعباءة فضفاضة فيما راحت تشق طريقها بثبات بين الجموع التي احتمت من الشمس الحارقة بمظلات سوداء. كانت الشوارع مزدحمة ايضاً بالعربات الخشبية يجرها باعة احرق القيظ اجسامهم. تابعت طريقها متجاوزة الباصات المكتظة وعربات نقل الركاب المزودة بمقعد وشادر. تدريجياً تضاءلت الضوضاء وخف الصخب...

هناك عند حدود الغابة، وخلف الاكواخ المتناثرة كالعشب البري، انتصب منزل قديم من الطراز الهولندي على قارعة الطريق. بدا المنزل لجودي موحشاً اليوم اكثر من اي وقت مضى وكأنه فقد رونقه بوفاة والدها. كانت الأعشاب الضارة والنباتات المتسلقة والعرائش المزهرة تلفه من كل الجهات، اما شرفته الخشبية فقد احناها مرور الزمن.

دخلت حزينة وقد اثقلت الهموم قلبها ورمت سلتها ارضاً... تساءلت عما يكون قرارها بشأن العرض الذي قدمه لها جيري. اثناء

وجود والدها لم تكن لتفكر بمغادرة سيلان. كم تحملت من المشقات معه، متحدية الامطار الاستوائية الرهيبة والعواصف الهوجاء ووقفت الى جانبه، مرة بعد اخرى تتأمل جمال سعف النخيل ترتسم ظلالاً على سماء زرقاء فائقة الجمال...

لكن الوضع تغير الآن. فقد اشعرتها الوحدة بحنين غريب الى سماء انكلترا الزرقاء بصبغتها الرمادية اللطيفة، الى حقول خضراء تمتد حتى الأفق ورياح باردة حفرت بصماتها في ذاكرتها كطفلة. كانت تكبت كل تلك الذكريات قبل مقابلة جيري، لعلمها ان روبياتها القليلة لن تكفي لنقلها حتى الى خارج المدينة. الا انها الآن راحت تحلم مجدداً بالسفر، وفكرة مرافقتها لامرأة معاقة في رحلة بحرية بدت لها هدية من السماء. ولكن، فكرت جودي وهي تذرع المكان ذهاباً وإياباً، ولكن جيري معروف بكونه نموذج الفتى اللعوب الراقص على قلوب الفتيات وقصة علاقته بالسيدة ريد جواي واحدة من قصص عديدة ذاعت عنه على مر السنين. ترددت جودي في الموافقة على اقتراح تقدم به شاب يحمل مثل هذا الصيت.

تركت نظرها يسرح عبر النافذة. ابتسمت وهي تتذكر كيف انقذها جيري من ذاك البائع الوقح. اقرت بانه لم يظهر لها يوماً اي سوء تصرف ورغم اشتهاره كرجل لا مبال كانت تستشف احياناً في عينيه ملامح الم صارخ يحاول دفنه تحت رداء من المرح الساخر.

قدرت جودي انه في اوائل عقده الرابع... لكنه على الرغم من ذلك يشع حيوية ونشاطاً. لم تشعر يوماً بأي فارق في العمر بينهما حين كان يلاعبها ويستفزها ضاحكاً في مكتب والدها.

وهنا تذكرت جودي أمراً آخر. لقد جمعت بين جيري ووالدها الراحل علاقة متينة. علاقة لم تقتصر على العمل سوياً لانجاح وكالة

السفريات، بل تعدته الى صداقة قوية لم يفرط بها الوالد قيد انملة رغم معرفته بكل الشائعات المحيطة بجيري...

باندفاع مفاجيء بدأت جودي توضب متاعها في حقيبة سفر. فهي لن تكون اقل ثقة بجيري من والدها ولن تضيع فرصة سانحة للعودة الى انكلترا.

حين توقفت سيارة جيري امام المنزل كانت جودي قد انهت اعداد حقائبها. لم تجد صعوبة في ذلك لأنها باعت سابقاً معظم اثاث المنزل لتسديد ديونها المستحقة. تركت رسالة تطلب فيها من مدبرة المنزل تسليمه الى مالكيه وخرجت لتلاقي جيري على الرصيف. شعرت به يكتشف مسروراً انها لم تكثر من الحقائب وسألها بمرح:

ـ أهذا كل شيء؟

ثم حمل امتعتها ونقلها الى سيارته.

لكن جودي كانت ابعد ما يكون عن مزاجه الهادىء، فقد اغلقت الباب والغصة في حلقها ثم نظرت بصمت الى المنزل القديم بشرفته المنحنية وكأنه يتوسل اليها ان تبقى. الآن وقد حان وقت الرحيل وجدت من الصعوبة بمكان ان تغادر منزلاً يضم في حناياه اجمل ذكرياتها مع والدها. استرقت نظرة اخيرة دامعة الى المنزل اليتيم ثم سارت بسرعة واستقلت السيارة.

شعر جيري بها تغالب البكاء فقاد بصمت مركزاً نظره على الطريق ومتجنباً توجيه الحديث اليها. فشعرت جودي بالامتنان للياقته.

حين تلاشت الغصة من حلقها ومسحت عينيها الدامعتين، امعنت جودي النظر في الطريق. كان والدها دائم الحديث عن ركوانا لكنها لم تحظ يوماً بزيارة مزرعة جيري للشاي التي تبعد عدة اميال عن

المدينة وتقع في الريف على احدى التلال. تجاوزا الغابات المحيطة بكاليوا ليقتربا من المناطق السهلية المستعملة لرعاية الماشية.

رغم حزنها، اعجبت جودي بزرقة السماء الصافية فوقهما. حملت نسمات الهواء اليها كل الروائح التي عهدتها في سيلان...

وسرعان ما بدأت تظهر الهضاب المزروعة بالشاي. كان الزرع موضباً في صفوف منتظمة متتالية امتدت لأميال واخترقته في امكنة قليلة اشجار النخيل العاتية. بعد فترة غير وجيزة ظهر منزل جيري، البناء الوحيد الشامخ في ذلك المنبسط.

اقتربت السيارة من المنزل ذي السقف القرميدي مثيرة زوبعة من الغبار على الطريق الرملي. كانت جودي شاردة الفكر فلم تشعر بجمال ركوانا وقد انتشرت هنا وهناك غرف العمال الصغيرة... ثم ترجلا من السيارة التي توقفت قرب حديقة المنزل الأمامية.

تركها جيري سارحة في تأملاتها بعد ان طلب من احد العمال التاميل نقل حقائبها الى احدى الغرف.

تأملت جودي شرفة المنزل بسقفها المنحدر ترتكز على عدة عواميد في المقدمة. اما النوافذ التي اعتلتها فقد غطتها شبكة من الاسلاك المعدنية لمنع تسلل القوارض والحيوانات من اغصان الشجر العالية الملاصقة للمبنى. كان الطابق الاسفل مقسماً الى عدة غرف تطل بعضها على بعض.

ورغم كونه عازباً، بدا منزل جيري مؤثثاً بذوق. كانت الخزائن من خشب التيك الصيني وازدانت الغرف بتماثيل من الابنوس الثمين، شواهد على الأيام الخوالي حيث قام والد جيري وجده من قبله بادارة الركوانا. فجيري من سلالة طويلة من زارعي الشاي وهذا النسب العريق كان ظاهراً بوضوح في قطع السجاد الثمين

والستائر المحاكة بفن وذوق رفيعين.

مرت عدة ايام دون ان ترى جودي السيدة ريد جواي، لكنها عرفت انها تقطن في جناح في مؤخرة المنزل حيث شاهدت خادمة هندية عجوزاً تتردد بصورة دائمة اليه.

امضت جودي الوقت في التسكع في ارجاء المزرعة تراقب الشمس تشرق بصمت مهيب فوق التلال الخضراء وتغيب بسكون وبعظمة وراء المنزل. كانت ركوانا تمتد على عدة آلاف من الأميال المربعة وتؤمن عملاً لعدد هائل من التاميل، رجالاً ونساء واطفالاً. شاهدت النسوة قاطفات الشاي يرتدين الملابس الملونة ويحملن السلال على ظهورهن بواسطة حبال تمرر حول الجبين. بدأ منظر المئات منهن بملابسهن الحمراء والخضراء والذهبية وهن يقمن بقطاف الشاي كفراشات تلعب في الشمس، يدخل البهجة الى قلب جودي الحزين.

في المساء نزلت جودي لتناول العشاء مع جيري في احدى الصالات الفخمة المشرفة على الحقل. راح يبذل جهده لتسليتها والترفيه عنها مكثراً من القاء النكات والقصص الطريفة... لكنها شعرت بأن مظهره الضاحك مجرد غطاء في معظم الأحيان. حاولت تعليل انطباعها هذا بحزنها الشديد لوفاة والدها مما يمنعها من رؤية الأمور بتجرد، لكنها بقيت تشعر بأن ابتسامة جيري وهو يروي لها الحوادث الطريفة هي ابتسامة باهتة ولا تقنع حتى صاحبها.

مرة او اثنتين سمعت جودي صوت السيدة ريد جواي يرتفع بغضب تعنيفاً للخادمة الهندية العجوز. لم تكن الفتاة قد قابلت الأرملة بعد لكن قصتها معروفة ومنتشرة بين كل الاوروبيين في كاليوا. زوجها كان يدير عمليات تصدير الشاي من مكتبه قرب

الشاطىء وقد غرق منذ عشر سنوات حين ضربت عاصفة مفاجئة كل سواحل الشمال الشرقي من الجزيرة. بعد موته تابعت غرايس ريد جواي العيش في المنزل الذي بناه زوجها في ضاحية كاليوا، وكانت تقوم من حين لآخر بزيارة المدينة حيث جمالها الفتان ولسانها اللاذع يثيران عاصفة من اللغط والثرثرة...

وكما يبدو، تكلم جيري معها بشأن جودي، ونال موافقتها، فقد استدعت الفتاة ذات صباح الى غرفتها. كانت جودي قد شاهدت الهندية العجوز تنقل الحقائب الى سيارة اجرة كبيرة وحين اتجهت لمقابلة الأرملة ارشدها صوت الصراخ الى المكان...

وجدت جودي الأرملة في كرسي متحرك امام الباب المفتوح لغرفة كبيرة واسعة. كانت في عمر جيري لكن جمال وجهها كان طاغياً وقد اسدلت شعرها الأسود الكثيف كيفما اتفق بعد ان فرقته في المنتصف وبدت عيناها الكستنائيتان مصطبغتين بلون اصفر مريض...

حدقت بها الأرملة مطولاً وكأنها تمتحنها دون رحمة ثم اطلقت كلماتها وكأنها الرصاص:

- وهل ستبقين كذلك فاغرة الفاه مزروعة في مكانك؟ تعالي ساعديني لأخرج من هذا الكرسي. تلك الشمطاء ميدولا تنثر امتعتها في كل ارجاء المنزل... الحمدلله انني لن ارى تلك الحمقاء بعد الآن!

امتقع وجه جودي لسماع ذلك الكلام الجارح واقتربت لتكتشف ان ممسحة قد التفت حول احدى عجلات الكرسي فمنعته من التحرك الى الأمام او الى الخلف. لكن الأرملة لم تطق الانتظار اكثر فنهضت بصعوبة. كانت السيدة ريدجواي قادرة على السير لكن ببطء وبجهد شديد كدمية معطوبة. ساعدتها جودي بتؤدة على

الانتقال الى سريرها ثم عادت الى الكرسي وانكبت على عجلته الصغرى تحررها من الخرقة وهي تشعر بنظرات الأرملة الثاقبة تراقبها كضوء كشاف.

بعد دقائق وقد اتمت جودي عملها، سمعت مجدداً تلك النبرة القاطعة كحديد يصر على حديد تقول:

ـ انت ابنة طوم لورنس، أليس كذلك؟

ـ نعم.

اجابت جودي وقد وجدت صعوبة في الابتسام في الجو المتوتر.

لكن غرايس ريد جواي لم تجد ما يمنعها من ذلك، رغم ان ابتسامتها كانت ابعد ما يكون عن الملاطفة. وحين تكلمت من مكانها على طرف السرير بدا قولها اشبه بلسعة صقيع باردة:

ـ لقد سمعت انه سأم الوجود على جزيرتنا الفردوسية هذه... اما كان يليق به ان يشيخ مثلنا؟

نفضت ذرة غبار عن لباسها وكأنها تطوي الموضوع بحركتها هذه واضافت مستنتجة:

ـ لا شك ان افراطه في الشرب اودى به الى القبر!

انتصبت جودي وقد الهب الغضب وجنتيها وصرخت قائلة:

ـ ابي لم يكن يشرب بتاتاً!

فتحت السيدة ريد جواي عينيها الصفراوين ببراءة مستغربة انتفاضة جودي. نظرت اليها وكأنها سعيدة بردة فعلها الغاضبة:

ـ كلهم يدّعون ذلك يا طفلتي.

قالت وهي تقولب شفتيها في ابتسامة من يعرف كل شيء. ثم اردفت:

ـ رجالنا الاعزاء يظنون انفسهم هدية السماء للمناطق الاستوائية!

ضاقت جودي ذرعاً بها واكتشفت بانزعاج انها مضطربة. حاولت اخفاء ذلك بالبحث عما تغسل به يديها من بقع الشحم التي كانت على عجلة الكرسي المتحرك.

قالت الارملة وهي تشير الى وعاء كبير مملوء بالماء:

ـ هناك.

اتجهت جودي اليه وهي تشعر بالنظرات الساخرة تلاحقها. لكن غرايس ريد جواي لم تصمت بل تابعت التهكم قائلة:

ـ كان افضل لطوم العجوز لو ترك البلاد منذ زمن بعيد، عوض ان ينهك نفسه وصحته في ادارة مكتب سفريات لا يدر شيئاً!

ـ أبي نجح تماماً في ادارة مكتبه!

اجابت جودي وهي تعلم انها تكذب. كان قلبها يخفق بعنف وقد تابعت تجفيف يديها بالمنشفة دون ان تلتفت الى الخلف، لكنها تصورت الابتسامة الساخرة وغير المصدقة لما تقول على فم الأرملة التي قالت بسخرية:

ـ السواح قد يكونون اثرياء يا عزيزتي. لكنهم لا يرمون اموالهم لقاء نزهات سخيفة بسيارات من الصفيح الصدىء.

ـ ما تقولينه خطأ مطلق! (جهرت جودي وقد التفتت رافعة رأسها باباء) لقد عملنا مع عدد من الزبائن المهمين في الماضي. لقد قدت بنفسي السواح عدة مرات الى ممر الفيل في اقصى الشمال ومقاطعة كاندي في اطراف الجنوب. ابي اوصل بنفسه مجموعة سواح اميركيين الى حدائق روهونو الشهيرة منذ شهر فقط!

وافقت الأرملة دون حماس قائلة:

ـ ربما... لكن ما سمعته ان والدك لم ينجح يوماً في كسب الأموال من اصدقائه!

اصابت الكلمات الشائكة جودي في الصميم وادمعت عينيها لأن الحقيقة تجرح . . . فوالد جودي كان طيب القلب ولم ينجح يوماً، رغم محاولاته العديدة، في التفوق في عالم الأعمال.

استدارت جودي تعبث بالمنشفة وتحاول في نفس الوقت اقناع نفسها بان لا فائدة من متابعة المناقشة. فالأرملة معروفة بقدرتها على ايقاع محدثيها بسهولة في فخ لسانها، وكان على جودي ان هي شاءت فعلاً مرافقتها في الرحلة بالباخرة ان تمتنع عن الرد على استفزازاتها. بصعوبة استجمعت بأسها وقالت في صوت ثابت:

ـ اتريدين شيئاً آخر قبل ان اذهب؟

اختفت فرحة النصر من عيني الأرملة لسماعها جودي تخاطبها بهذا الصوت الهادىء والرزين. هدأت واجابتها بمرارة:

ـ ساعديني في العودة الى الكرسي. لا اريد البقاء هنا.

ما ان اصبحت الأرملة في الكرسي حتى انطلق صوتها يلعلع مجدداً طالبة من جودي نقلها الى الحديقة.

ـ ادفعيني قليلاً. بما انك ترافقينني في هذه الرحلة سأبدأ بالاستفادة منك فوراً.

بصعوبة قادت جودي الكرسي المتحرك عبر الممشى الرملي غير المستوي، فهي لم تكن خبيرة في دفع الكراسي المتحركة على الطرقات الوعرة. لكن الأرملة لم تشجعها قط بل راحت تنهال عليها بالشتائم في كل مرة تخطىء فيها مثل:

ـ ما هكذا تدفعينني ايتها الفتاة الحمقاء، اتحاولين ايقاعي خارج الكرسي؟ اذا كنت تعجزين عن دفعي على اليابسة ماذا ستفعلين على سطح باخرة تتأرجح دون توقف؟

لكن المتاعب استمرت في تصاعد حتى علق الكرسي بين جذع

شجيرة برية وجدار منخفض فنفد صبر السيدة ريد جواي فصاحت:

ـ بحق السماء ارجعيني الى غرفتي. اشعر كأنني انهيت اسبوعاً من السفر في بحر هائج!

في الأيام التالية بقيت جودي طوع بنان الأرملة المعاقة، تتحمل ملاحظاتها الجارحة وتسمع بطول اناة شكاواها المتواصلة وتهجماتها على كل افراد المنزل ولا تتركها الا ليلاً وقد اودعتها الفراش واعطتها كتابها المختار. اكتشفت جودي ان الأرملة، وقد سئمت حياتها قبل الحادث، اصبحت بعده امرأة لاذعة وجارحة لا تتوانى عن ايلام من يطاله لسانها. كانت الفتاة تشعر بالاحباط حين تتذكر ان هذه المرأة بالذات سترافقها في رحلة طويلة تبلغ ستة او سبعة آلاف ميل.

بعد اثني عشر يوماً من وصولها الى ركوانا اخبرها جيري ان الباخرة تيكا قد رست في مرفأ كولومبو وستقلع منه بعد يومين. كان الاثنان يتناولان طعام العشاء في الصالة المطلة على الحقل وقد لمعت اسراب الذباب المضيء بين الاعشاب المحيطة بالحديقة فيما بلغت مسامعها اصوات الحيوانات البرية تبلغ الليل شكواها.

بدا وجه جيري في ضوء المصباح مثقلاً بالهموم كثيف الخطوط وهو يخبرها بوصول الباخرة ويتابع:

ـ ستنتقلين الى المرفأ الذي يبعد مئتي ميل مع بلايك موريسون. انه يقصد العاصمة عدة مرات في السنة وقد وافق ان يمر بطريقه علينا ليصطحبكم.

رددت جودي:

ـ بلايك موريسون، هل اعرفه؟

اجابها جيري قائلاً:

ـ اشك في ذلك! انه يدير كالوتادا، وهي مزرعة للشاي الى

الشمال من هنا. منطوٍ على نفسه ونادراً ما يظهر في الأماكن العامة.

ثم اردف وهو يبتسم بطريقته المعهودة:

- انه مثلي، سليل عائلة عريقة في زراعة الشاي، منذ ادخل اللورد وكهام زراعة الشاي الى سيلان.

انهت جودي وجبتها بقطعة من الأناناس الطازج. فكرت بالبقاء وتبادل اطراف الحديث مع جيري لكنها شعرت به وقد انطوى على نفسه بعد حديثه عن موعد اقلاع السفينة.

- سأذهب للنوم كي اكون مستعدة للرحيل غداً مع الفجر.

قالت لجيري الذي بدا شارد الذهن. لكنه نهض بعد لحظة وكأنه تذكر وجودها معه ليرافقها الى باب غرفتها.

- سأكون مستيقظاً غداً كي اودعك. ثم لا تنسي ان تتصلي بي فور بلوغك انكلترا!

قال ذلك وراح يمازحها ويلقي النكات عن دوار البحر وقصص الحب التي تحصل على البواخر الكبرى. ضحكت جودي لكنها شعرت بوضوح ان مرحه ليس الا قناعاً واهياً.

بعد نصف ساعة كانت جودي تغط في النوم وقد جهزت كل امتعتها وامتعة السيدة ريد جواي ولم يبق عليها في الصباح الا ارتداء ملابسها وانتظار السيد موريسون.

حين استيقظت جودي مع الفجر، رأت الضباب الخفيف يغطي المكان. ومع اولى خيوط الشمس تخترق الأفق الرمادي كانت قد ارتدت لباسها الكاكي وهو لباسها المعهود في سيلان. لم ترد ارتداء ملابسها الانيقة الا على متن الباخرة وقد تركت كل الاعمال الشاقة وراءها.

وجدت جودي الأرملة وقد استعدت بدورها وجلست تتناول

افطارها بهدوء امام النافذة. حيتها وقالت بعد ان نظرت حولها ولم تجد ما تفعله:

- سآتي لاحضارك فور وصول الشاحنة.

اجابتها الأرملة بسخريتها المعهودة:

- ارجو ذلك!

اغلقت جودي الباب وذهبت الى البهو الكبير بتماثيله السوداء واثاثه الابنوسي حيث وقف جيري يحدق في الخارج. كانت اغصان الشجرة الملاصقة للمنزل وللشرفة التي بنيت حولها تنساب راقصة بصمت امام انظاره، لكن جمال السهول وقد اكتست بلون الذهب الذائب لم يؤثر به البتة.

شعرت جودي بالاحراج للصمت المثقل الذي ساد الغرفة. تجولت فيها قليلاً ثم خاطبته:

- لم يبق لنا الا الانتظار...

اجابها جيري:

- فعلاً. لا شيء غير الانتظار.

كان يتكلم بصوت متعب وقد امسك سيكارة بين اصبعيه.

تأملته جودي في الضوء الشاحب. بدا وجهه اكثر شحوباً لكن وسامته اصابتها بالذهول. كان يرتدي سترة خفيفة فوق ملابسه فبرد الليل لم يتبدد بعد والنسمات الباردة تراقص شعره المتموج حول وجهه المصقول. فهمت سر ذياع صيته كفتى لعوب وصائد قلوب ماهر، فرجل بوسامته يحتاج للكثير من الجهد كي يتفادى المغامرات.

على الرغم من ذلك كله، رأته جودي الآن مجرداً من قناعه المرح ومظهره المتعالي، بدا لها مختلفاً تماماً عن ذلك المغامر اللامبالي الذي تكثر عنه الأقاويل. كانت الفتاة تدرس ملامحه متظاهرة بالنظر

الى الاغصان تغير لونها لحظة بلحظة. اقرت بانه كان دائماً يعجبها وهزها مظهره الآن كرجل شديد الكآبة.

فكرت جودي ان خسارتها الفادحة ربما ضاعفت من حساسيتها لكنها ايقنت ان الهم يطغى على قلب جيري رغم محاولاته المتقنة والمتكررة لاخفائه. لقد شعرت بالأمر منذ وصولها الى ركوانا وقد تأكد هذا الاحساس لديها الآن.

اقتربت منه وتكلمت همساً، كأنها خافت ان تهين ذلك الصباح الخلاب ان هي رفعت صوتها:

ـ لم اشكرك بعد لكل ما فعلته لي يا جيري. لولاك لكنت حتى الآن اسيرة كاليوا.

رفع كتفيه باسماً وكأنها اعادته الى واقعه بكلامها، فأجابها:

ـ لا شكر على واجب. انا فعلت فقط ما كان طوم توقع مني فعله.

لمع غشاء من الدمع في عينيها حين سمعت اسم ابيها الراحل. كانت قريبة من جيري فلمحت الماً مشابهاً في نظرته. كم احب والدها العيش هنا لكن سيلان بدونه ليست مكاناً لها. على الرغم من ذلك اعتصرتها الغصة مجدداً. فهي على اهبة الرحيل وترك جزء كبير من ماضيها وراءها. يا للغرابة. لم يضطر جيري لمواجهة المشاكل نفسها لكنه بدا وكأنه يشاركها حزنها فعلاً.

كان اهل المنزل قد بدأوا بالنهوض حين راحت جودي تفكر بعلاقة جيري حالياً بالسيدة ريدجواي. كما تعلم كان من وقت لآخر يجالسها في الحديقة الخلفية اثناء وجودها في ركوانا. لكنه لم يكلم جودي عنها ابداً ولم تعرف ماذا يدور بفكره والأرملة جالسة في غرفتها تتناول افطارها بهدوء...

ارادت ابقاء الحديث دائراً فاعلمته بلهجة عملية ان السيدة

ريدجواي جاهزة:

ـ قلت لها انني سأحضرها ما ان تصل الشاحنة.

كانت ردة فعل جيري مفاجأة للفتاة. فقد ارتسمت لوهلة ملامح الألم الشديد على وجهه المتقع. همست قائلة:

ـ انا آسفة. اظنك حزيناً لذهابها.

ـ طبعاً. غرايس هي...

خفت صوته. مج نفساً عميقاً من سيكارته ليخفي اضطرابه، لكن جودي شعرت به. كانت تعرف الشائعات المتعلقة بجيري والسيدة ريدجواي وقررت مفاتحته بالموضوع عل ذلك يريحه.

قالت له:

ـ الناس يقولون انك تسببت بالحادث للسيدة ريدجواي وبانك ترفض الآن الزواج منها!

ـ الهي كم اعرف ماذا يقولون عني!

اجابها جيري بصوت متهدج. رمى عقب سيكارته ارضاً وسحقه بقدمه بعنف. نظر الى جودي مرتين متتاليتين وكأنه يتساءل هل يثق بها، ثم اخبرها بنبرة متواضعة:

ـ لم تصبح غرايس ريدجواي معاقة بسببي قط!

كانت جودي محرجة وهي تجيبه:

ـ هذا فقط ما سمعته... انك قدت سيارتك الى جايلا على الشاطىء في نزهة ليلية مع غرايس وآل جلبرت وان...

اعترضها بهدوء:

ـ انا قدت السيارة ذهاباً لكن غرايس اصرت على قيادتها بنفسها اثناء العودة. حاولت ثنيها عن ذلك لكنها عنيدة.

راقبته جودي بذهول يصمت عاجزاً عن متابعة الحديث فسألته:

- تقصد انك تحملت اللوم على حادث قتل فيه شخصان وتسببت هي به؟

اجابها جيري واجماً:

- لم يكن لدي خيار آخر. انت رأيت غرايس... الا تظنينها تعذبت بما فيه الكفاية؟

اغمد يديه في جيبي سرواله واردف بنبرة قاسية:

- اقاويل اهل المدينة لا تهمني. منذ فتوتي والسنتهم تلاحقني كيفما تحركت!

لكن جودي لم ترم سلاحها فالفرصة قد لا تسنح لها مرة اخرى وهي تريد ان ترضي فضولها، فتابعت:

- لكن عليك ان تتوقع ذلك. فقد عشت دائماً حياة صاخبة ومليئة بالمغامرات...

- ظاهرياً فقط!

اخذ جيري نفساً طويلاً ثم تابع:

- قليلون يعرفون ذلك، لكني مولع بحب السيدة ريدجواي منذ سنين.

سألها فجأة وهو يبتسم ساخراً:

- اتدرين انها لم تكترث بي بتاتاً؟ كنت قادراً على نيل قلب اية انثى في المدينة او خارجها. تعمدت التعرف على بعضهن فقط لأغيظ غرايس، ولأثير غيرتها لكن كنت اعلم في قرارة نفسي ان ذلك لا يضيرها في شيء!

تعاطفت جودي معه لكنها لم توافق ابداً على طريقة تصرفه. ففي

رأيها ان رجلاً اقوى كان نال قلبها او اخرجها من قلبه تماماً.

تابع جيري وهو سارح في افكاره:

- وافقت على الزواج مني فقط لأنني انهكت مقاومتها. لكنها بعد الحادث تخلت عن الفكرة نهائياً!

نفض يديه مستسلماً ثم تابع:

- حين ادركت ما حل بها، قررت الرحيل والعيش مع شقيقتها في انكلترا. حاولت ردها عن ذلك لكني لم اوفق الا في اقناعها بالسفر بحراً... فهي بحاجة الى فاصل زمني قبل مواجهة حياة مختلفة هنالك.

نظر الى جودي ثم اسر اليها:

- حين قابلتك ذلك اليوم في سوق المدينة سعدت لأنني وجدت فيك الشخص القادر على العناية بها اثناء الرحلة.

اصغى قليلاً لصوت العمال يبدأون نهارهم ثم تابع:

- موريسون وانا وبعض الآخرين هم مزارعو الشاي البريطانيون الوحيدون الذين ما زالوا في سيلان. عددنا يتناقص باستمرار وقد لا يبقى احد منا بعد بضعة اشهر. على كل حال انا انوي بيع الركوانا والهجرة الى انجلترا حيث آمل في اقناع غرايس بقبولي زوجاً لها. بهذه الطريقة فقط اطمئن الى انها تنال العناية اللازمة.

صمت جيري وقد اختنق صوته يأساً.

ذهلت جودي باعترافه وكونها راحلة طمأنه الى ان سره لن يعرف في المدينة. وسعدت لأن اعترافه اكد لها صحة نظرة والدها اليه كرجل يستحق صداقته. لكن جودي دهشت ايضاً للافتتان الذي

بدا ان غرايس تمارسه على جيري. فهي لم تجد فيها جمالاً خارقاً قد يوحي بجاذبية لا تقاوم. على الرغم من ذلك اعجبتها مرؤته وشعرت بملامح وجهه تعيد لها بعضاً من والدها الراحل فقالت له دامعة العينين:

- جيري... ماذا اقدر ان اقول؟

كانت نظراته الضائعة تفضح عذاب قلبه المستعر لابتعاد المرأة التي يحب. اجابها بصوت كسير:

- اهتمي بها جيداً يا جودي، لأجلي.

ودون ان يدريا السبب، وربما لكون الحزن ربط بينهما، تعانقا في ضوء الصباح الشاحب. احنت رأسها الى كتفه وكأنها تستمد منه اماناً يسد بعض الفراغ الكبير في روحها. من خلال الدموع التي غطت عينيها لمحت رجلاً يحث الخطى نحوهما فابتعدت عن جيري على الفور. كان القادم عريض المنكبين رشيق السير وصل الى البهو بسرعة لم تتوقعها. شاهده جيري ايضاً فاستعاد قناعه المرح وحياه بابتسامة ناعسة قائلاً:

- صباح الخير يا بلايك... اظن السيارة جاهزة؟

اجابه بلايك مبتسماً بدوره:

- جاهزة وفي الانتظار.

بدا الزائر في الخامسة والثلاثين من العمر، طويل القامة اخضر العينين عادي الملامح. كان شعره البني القصير يعلو بانتظام وجهه الذي لوحته الشمس، لم يتكلم كثيراً لكن وجوده كان طاغياً.

ودون سبب معقول، شعرت جودي بالاحراج حين عرف عنها جيري قائلاً:

- هذه الآنسة لورنس التي سترافق غرايس في الرحلة الى انكلترا (ثم اضاف بمرحه المعهود) اذا شئت ان تستريح خلال الطريق سلم المقود الى جودي دون وجل. انها معتادة على قيادة السيارات في كل ارجاء الجزيرة.

لكن بلايك اجاب ببرود:

- لا اظن ذلك سيكون ضرورياً!

تجاهلت جودي فتوره تجاهها وابتسمت بلياقة قائلة:

- سأذهب لاحضار السيدة ريدجواي.

لكنها ما كادت تهم بالانصراف حتى دخلت الأرملة وهي تدير عجلتي الكرسي بصعوبة بيديها النحيفتين. تقدمت منهم وهي تتجاهل عمداً عروض جودي المتكررة لمساعدتها. بدت الأرملة شاحبة وضعيفة وقد اظهر نور الصباح بوضوح اعوجاج جسمها المحطم.

بادرها بلايك موريسون قائلاً:

- صباح الخير سيدة ريدجواي. هل انت جاهزة للرحيل؟

اجابته بلذعتها المعتادة:

- أجهز ما يمكن.

دفعها بلايك الى الخارج فيما اشرف جيري على نقل الامتعة والحقائب الى الشاحنة الكبيرة. رافقت جودي الكرسي المتحرك وهي تشعر انها عديمة النفع. كان بلايك قد اوقف شاحنته قرب حديقة المنزل وفي الداخل لمحت الفتاة ركاباً آخرين يرافقونها وغرايس في الرحلة الى العاصمة.

اوقف بلايك الكرسي قرب الباص وفتح الباب ثم حمل الارملة

واجلسها قرب مقعد السائق قائلاً:

- ليست مريحة مثل الروز - رويس لكني اظنها تفي بالغرض.

قال ذلك واعطاها حقيبة يدها ثم نزل واغلق الباب. شاهدته جودي من حيث تقف يطوي الكرسي المتحرك. التفت وهو ينظر اليها ببرود ويقول:

- في المقدمة مقعدان فقط لكن هناك اماكن عديدة شاغرة في الخلف.

نقل الكرسي ثم ساعدها على الصعود وشاهدت الفتاة من مكانها جيري يبتعد ويدخل المنزل. تساءلت ماذا قال لغرايس وهو يودعها لكنها لمحته يدخل منزله مقطب الحاجبين.

زمجر محرك الشاحنة للحظات ثم انطلقت. لم تر جودي الركوانا تبتعد فغضبها اعماها عن ذلك. كانت تعلم ان سبب جفاء بلايك الظاهر في معاملتها هو الفكرة التي كونها عنها لدى وصوله، حين شاهدها في عناق مع جيري. فهو يعرف صيت جيري كفتى لعوب ويسمع الاقاويل الكثيرة بانه لم يعد مهتماً بالأرملة بعد ان تسبب باعاقتها ولا بد انه ظن جودي الدمية الجديدة بين يدي جيري سومرز.

كذلك كانت جودي تعلم ان منظر عناقها مع جيري لن يفسر كعناق صديقين جمعهما الحزن بل حبيبين ربطتهما العاطفة. لكن ما اغضبها هو تسرع بلايك في الحكم عليها دون ان يحاول التأكد من حقيقة الموقف. كانت تعلم الآن ماذا يدور بفكره... فهو سيظنها تطوعت لمرافقة الأرملة المسافرة لتضمن ان الساحة ستخلو لها للحصول على قلب جيري دون منازع.

كانت لا تزال تكظم غيظها حين انتبهت الى انها لا تزال واقفة تمسك برف فوقها. جلست وهي تتساءل عما يظنه بلايك عنها. فليفكر ما يشاء. ما هي الا ساعات حتى تصل الى كولومبو وبعدها لن تراه ابداً.

www.elromancia.com

٢ - انهم في سباق مع الموت وكل لحظة فرصة لا تعوض. جلس الجميع ارضاً وقد تعلقت ابصارهم بالرجل الوحيد الذي قد يقدر على انقاذهم . . .

استرخت جودي تاركة نفسها تهتز مع مطبات الطريق. وبدأت تتأمل رفاقها في السفر. . . وجوهاً متجعدة تعتمر اسمالاً بيضاء واطفالاً تحلقوا حول بعضهم البعض يحدقون بها بكثير من الفضول والتعجب يملأ عيونهم الداكنة الكبيرة. ابتسمت لهم مطمئنة وعاودت النظر عبر النافذة.

تجاوزت المجموعة ضواحي كاليوا في طريقها جنوباً. من مكانها شاهدت جودي منازل الطبقة الميسورة من رجال الاعمال السيلانيين تحيط بها الحدائق الصغيرة. كانت احدى اشجار النار المزهرة تشع كالشعلة بين اشجار جوز الهند وفيما عبرت الشاحنة حدود المدينة بين صفين طويلين من الاشجار المزهرة انتشرت في الجو رائحة شبيهة

بعطر الغارديا وكأنها تودع الركب المغادر.

كان ضوء الصباح الذهبي قد بدأ يلمع فوق رؤوس التلال طارداً الظلمات الى البعيد حين تابعت السيارة الكبيرة طريقها بين الاشجار الاستوائية. تجاوزت مزارع المطاط وحقول البطاطس والحبوب وشاهدت جودي من البعيد عشرات النسوة يحملن الأواني لتعبئة المياه من النهر الموازي لخط سيرهم.

كانت جودي تعرف جيداً الطريق المتعرج الى كولومبو وتعرف انه يلتف ويدور حول الكثير من الهضاب المشجرة، لذلك فوجئت حين رأت بلايك ينحرف ليقود السيارة عبر ممر ترابي عريض يجتاز حقولاً واسعة فقدرت انه، بعد سنوات من السير على نفس الطريق، قد وجد معبراً آخر يختصر المسافة. كان والدها اخبرها يوماً عن طريق يختصر ثلاثين او اربعين ميلاً من الرحلة الى كولومبو لكنه نصحها يومها بعدم سلوكه وبلزوم الطريق الرئيسي دائماً.

بلغوا منطقة جافة بعد ساعتين. كان نيسان وهو اكثر الشهور حرارة في سيلان قد اقترب وبدأت المياه في اماكن كثيرة تتبخر وتشكل غيوماً خفيفة فوق اليابسة. شعرت جودي باوراق الاشجار تحف صارخة على جانبي السيارة وتسقط ارضاً، فالرياح الساخنة التي هبت قبل ايام ايبستها على اغصانها. .

توقفوا في عدة اماكن للاستراحة. . . مرة تحت صف طويل من اشجار الكمبك عند حافة مجرى نهر جاف ثم في دسكرة صغيرة اسرع من فيها من الأولاد السمر للالتفاف حول السيارة محدقين بفضول ومبتسمين لمن فيها. كانت القرية تضم حفنة من اكواخ الطين يعتاش سكانها من بعض البساتين الصغيرة المسورة بجدران من القصب لمنع الحيوانات البرية من دخولها والعبث بمزروعاتها.

وهنا وهناك، راحت انواع مختلفة من الطيور تتنازع بعض البذور التي لم تطمر في التربة.

بعد الظهر، وبعد ان قطعوا اميالاً عديدة، وصلوا الى غابات قليلة الكثافة تخترقها تيارات الرياح الساخنة. هناك انتشرت امامهم حقول خضراء واسعة تعج بالازهار البرية الفائقة الجمال وتضج بغناء طيور من مختلف الأشكال والألوان. وبدا الانتقال من المنطقة الجافة الى المنطقة الرطبة شبيهاً بالانتقال من بلد الى آخر.

تدريجاً ضاقت الطريق اكثر فاكثر وفي جانبيها ارتفعت نباتات وارفة والتفت في الأعلى لتشكل نفقاً اخضر فيما تردد خرير المياه في كل الانحاء. بعد الظهر، ولاعطاء الركاب استراحة من عناء الرحلة، توقفت العربة قرب شلال صغير انساب فوق درج صخري حفرته الطبيعة وتجمع في برك صغيرة قرب الحشائش واشجار الكسوارينا العملاقة.

في الظلال قرب السيدة ريدجواي بسطت جودي المائدة واضعة الطعام الذي اعده طباخ جيري. وفيما انشغل بلايك بالكشف على المحرك انتشر الركاب الآخرون في الجوار وجلس بعضهم ارضاً لتناول زادهم.

بعد الطعام دفعت جودي الأرملة على كرسيها نحو الساقية لتغتسل مما اوجب على الفتاة ان تساعد الأرملة على الترجل الى حافة الماء ثم العودة الى الكرسي، وهو ما بدا صعباً بسبب طبيعة الأرض غير المستوية. كانت غرايس قد اخلدت للنوم خلال الطريق لكنها فقدت هدوءها حين حاولت جودي مساعدتها وانهالت عليها بلسانها اللاذع صارخة:

ـ ايتها الفتاة الحمقاء ادفعيني اكثر نحو الماء. اتظنينني قادرة على

الطيران؟

ارادت جودي ان تخبرها ان الكرسي سيسقط بها في الماء اذا ادنته اكثر. لكنها سكتت على مضض وامتثلت للأمر الى اقصى حد ممكن. وبعد جهد وقد عادت الأرملة الى كرسيها اقترب بلايك موريسون قائلاً:

ـ لقد اعددت فراشاً لك يا غرايس (اخبرها وهو يقترب متجاهلاً جودي بفتور، ثم تابع) بامكانك النوم قليلاً. سنبلغ كولومبو بسهولة قبل هبوط الظلام.

حملها وسار بها فوق الاعشاب دون ان تكلف الأرملة نفسها عناء شكره. شاهدته جودي يضعها برفق شديد تحت شجرة وارفة الظلال. دفعت الكرسي الفارغ امامها وقد ايقنت ان بلايك، الذي لم يوجه اليها كلمة واحدة، لا يكن لها اي احترام.

بدا واضحاً ان الرجل الذي امضى حياته في المناطق الاستوائية يعرف طبيعة البلاد جيداً ويفقه اسرارها. كان يرتدي ملابسه الخشنة الكاكية اللون بالأبهة نفسها التي يرتدي بها لباسه الرسمي للسهرات ويضع في حزام حول خصره خنجراً في غمده وقد برزت من جيب قميصه خريطة راح يطالعها من وقت لآخر.

اغلقت جودي الكرسي المتحرك واسندته الى باب السيارة المفتوح. نظرت داخل مقدمة الشاحنة ورأت اغراض بلايك الشخصية، آلة حلاقة، مصباحاً كهربائياً وعلبة سكائر، اضافة الى جهاز لاسلكي صغير لمحته وهي تبتعد. كان الجهاز ضرورياً لمن يقوم وحيداً برحلات عبر الغابات النائية.

سارت الى حافة الماء لتغسل وجهها ويديها من غبار الطريق وقد اختلت مؤقتاً بنفسها... كان المجرى المائي الصغير يسقط على

الصخور محدثاً رنيناً لطيفاً يرافقه شدو عصفور اصفر خفيف حلق فوق الحشائش الرطبة ليسمع الغابة الحانه العذبة. انتعشت جودي حين لامست المياه بشرتها. جثت وملأت رئتيها بالهواء النقي فيما داعب عطر الطبيعة الخلاب انفها. جففت وجهها بمنشفة وسرحت شعرها المبتل بمشط كان في حقيبتها.

التفتت الى السيارة الكبيرة. كان كل شيء ساكناً ولكنها شعرت بوجود بلايك المعادي لها. شيء فيه زادها اصراراً وتصميماً على عدم تركه يحبط عزيمتها. سمعت الركاب الآخرين يتجادلون فيما بينهم فقررت تمضية الوقت بالتعرف اليهم.

في البداية نظروا اليها وهي تقترب بكثير من الحياء وببعض الحذر الذي برز في عيونهم السوداء. كانت المرأة العجوز المتسربلة بالساري الهندي والشال تلملم بقايا الطعام حين اقتربت جودي وحيتها بالعبارة المحلية. «نامسكرام» او «السلام عليك»، قالت جودي وقد ضمت كفيها وكأنها تصفق.

ردت المرأة السلام وبدا ان التحية المتبادلة اذابت الجليد بين الفتاة وزملائها في السفر. بعد قليل دعيت جودي لمشاركتهم الفواكه والثمار الأخرى وما هي الا دقائق حتى زالت كل التحفظات واخبر المسافرون جودي بلغة التاميل التي تعرفها جيداً، انهم اقرباء لعمال في مزرعة السيد موريسون وانهم يصحبونه الى العاصمة لزيارة اهلهم فيها. كذلك علمت جودي ان العجوز نديا ترافق حفيدها الذي راح يتشقلب على الرمل فرحاً، ليسكن مع اقرباء لها في كولومبو حيث سيذهب الى المدرسة. اما الرجلان العجوزان رسوامي من التاميل وجايامان السنهالي فكانا يقصدان المدينة بحثاً عن عمل جديد بعد ان توقفا، لتقدمهما في السن، عن العمل الشاق في مزرعة بلايك

موريسون. حين قابلتها جودي رأت الأول وقد تكشفت ابتسامته عن فم خال تقريباً من الاسنان... يلتقط حبات الارز المتبقية في صحنه ليأكلها. اما الآخر، فقد بدا للفتاة صامتاً ومنزوياً عن رفاقه بعد ان تبادلت معه التحية...

اضافة الى كيري حفيد نديا كان ولدان آخران، راجا وداتو يقصدان كولومبو للالتحاق بالمدرسة وقد تعهدت المرأة العجوز برعايتهما ايضاً. كان راجا اكبرهما سناً اما داتو، وهو في الثامنة من العمر فبدا هزيلاً تلمع الشقاوة في عينيه الداكنتين.

بعد ان اعتاد الأولاد الثلاثة على وجود الفتاة البيضاء بينهم بدأوا بالضجيج مطالبين بالاستحمام في النهر المجاور. ارادت جودي ان تعطي العجوز بعض الوقت لتستريح فصحبتهم بنفسها الى الماء. خلعت خفيها عند الحافة وراحت تتنقل معهم برشاقة من صخرة الى اخرى تراقبهم يلعبون ويتراشقون بالمياه ويتدافعون بسراويلهم القصيرة بين حافتي النهر. كان منظرهم طريفاً وهم يضحكون بين الصخور وقد بللت المياه شعورهم السوداء واجسامهم البنية ولمعت اسنانهم البيضاء وسط ابتساماتهم العريضة.

حين اعادت جودي الأولاد الى الباص كان بلايك يجلس غرايس برفق على مقعدها في المقدمة فيما قامت نديا ورفيقاها بجمع اواني الطعام وادوات المطبخ. تبعتهم جودي الى السيارة وجلست في المؤخرة مع رفاقها الصغار. وخيم جو من الألفة على الركاب في المقصورة الخلفية وهم يستعدون للرحيل. كان الأولاد يفضلون صحبة جودي على العجوز نديا بوجهها المتجعد ومراسها الحازم وتعالت الضحكات حين تحركت الشاحنة وقد زمجر محركها.

سارت الشاحنة وسط صفين عاليين من الحشائش والأشجار

وتأملت جودي وجه بلايك المتحجر الملامح عبر النافذة التي تفصل بين مقدمة الشاحنة ومؤخرتها الواسعة. بعد بضع دقائق تجاهلته وقد قررت انها ستستمتع بالرحلة بغض النظر عن رأيه المفترض في اخلاقها ومثلها.

اقترب داتو الصغير وجلس على الحقيبة قربها. كان يضحك ويستفز رفيقيه مقارناً مقعده المريح بالكيسين الخشنين اللذين جلسا عليهما. ارادت جودي فض الخلاف فراحت تعدد لهم جمالات الطبيعة مشيرة الى الزهور البرية المتصبة على جانبي الطريق امام عيدان القصب الطويلة والمشرئبة. ومن وقت لآخر كان الركاب يسمعون صوت هذه العيدان تتحطم، تخترقها الوحوش هاربة من امام الشاحنة . . . ها قد اصبحوا الآن عند حدود الأدغال، فكرت جودي وقد سرت قشعريرة في جسمها.

لكن الفتيان سريعاً ما سئموا المنظر يعيد نفسه على مدى اميال واميال فراحوا يلعبون داخل الشاحنة مما اثار غضب نديا التي كانت اخلدت للنوم، وازعج الهرمين اللذين انكبا يأكلان بعض الاعشاب المسحوقة. استذكرت جودي بعض الأغاني التي كانت تنشدها في صباها وراحت تحاول تلقينها للصغار الذين استهوتهم الفكرة. وهكذا، بعد دقائق طويلة والشاحنة تتابع خط سيرها المتعرج صعوداً ونزولاً حملت النسمات مجموعة اصوات لا يوصف نشاذها تحاول الغناء معاً وعلى نحو لم تسمع الغابة مثله من قبل.

طبعاً لم يكن التاميل الصغار يفهمون معنى ما ينشدونه، فالانكليزية شكلت بالنسبة اليهم لغزاً يستحيل فكه. لكنهم ثابروا مقتدين بجودي وسعداء بالفرصة التي سنحت لهم باصدار الضجيج دون اعتراض. كانت جودي تضحك معهم وهي تراقب الطريق

تنساب كما اصواتهم، مترجرجة ومتقلبة طلوعاً ونزولاً.

راحت الشاحنة تسير بمحاذاة واد عميق غطته الاشجار الغريبة والحشائش الشائكة. وكما ستكتشف جودي لاحقاً، كانت الشاحنة تتجه الى جسر يجتاز الوادي في اضيق اماكنه. . .

تابعت الفتاة قيادة الجوقة حتى حفظ الأولاد اللحن فتركتهم يتناوبون على الغناء، كل بدوره، يردد على سجيته الكلمات التي بقيت في ذاكرته ويعيد ترتيبها حسبما يقرر حسه الموسيقي. قهقهت وهي تصغي اليهم وتراقب الجسر الضيق وقد بدأت الشاحنة تعبره. اعتدلت في جلستها تراقب الجسر والوادي السحيق الذي انبسط تحته على عمق مئات الأقدام. كانوا في منتصفه حين حصل ما لم يكن في الحسبان. بذهول ودون ان تصدق، شعرت جودي بالجسر ينتفض ورأت شقاً يتكون فيه بلمح البصر. من خلاله شاهدت قعر الوادي وكأنه الموت فاغر الفاه لابتلاعهم. جمد الصوت في حلقها. نظرت الى الأمام وشاهدت الشق يمتد اكثر فاكثر، كافعى تغادر حجرها، بين العجلتين الاماميتين. توقف الدم في عروقها فيما جمدت الشاحنة وقد علا صوت ضجيج مستمر كالرعد ابان عاصفة هوجاء. كانت تحدق مشدوهة بقعر الوادي المنفتح تحتهم وقد شغل الرعب تفكيرها.

اخرج بلايك الارملة بسرعة وهو يصيح بجودي:

- اخرجي الجميع. عودوا الى الطريق! بسرعة!

تحركت بسرعة وكأنها في حلم. كان الرجلان والمرأة العجوز قد اطلقوا سيقانهم للريح دون حاجة الى انذار وقد شعروا بالجسر يهتز تحت اقدامهم.

ترجلت جودي وجذبت الأولاد خارجاً. سقطوا ارضاً دون ان

تتلقفهم. دفعتهم امامها ليركضوا باقصى سرعة وتبعتهم وهي تلتفت الى الخلف لتشاهد بلايك يحث الخطى جاهداً وهو ينوء بحمل الارملة ريدجواي. سمعته يصيح في الجميع ان يركضوا دون ان ينظروا خلفهم. كانوا في سباق مع الموت وكل لحظة هي فرصة لا تعوض.

راح الاهتزاز يتزايد والضجيج يشتد حين بلغت جودي مشارف الطريق الصلبة. كان الآخرون قد سبقوها وانهاروا ارضاً اعياء واضطراباً لكن بلايك كان لا زال يصارع القدر حاملاً الارملة وراكضاً فوق الجسر المتداعي. اطلقت جودي دعاء صامتاً ليمهله القدر بضع ثوان اخرى. شعرت باللحظات تمر وكأنها دهور الى ان وصل منهكاً ووضع الأرملة ارضاً. هنا تذكرت جودي امراً. نظرت الى الشاحنة تهتز مع الجسر المترنح وصرخت:

- الكرسي المتحرك.

كانت قد بدأت تعدو حتى قبل ان تتكون الفكرة في دماغها. اطلق بلايك صرخة مدوية:

- ارجعي يا حمقاء!

وهب لاعتراضها. كانت قد خطت بضع امتار حين شعرت بقبضته الفولاذية تطبق على ذراعها. رفعها بسرعة قطعت انفاسها ودفعها الى الخلف وفي تلك اللحظة شعرت بالأرض تسقط تحت قدميها. حملها بلايك من خصرها وقفز وسط عاصفة من الغبار والركام. رماها ارضاً وسقط خلفها وحين التفتت رأت نصفه معلقاً في الفراغ. في اللحظة عينها تحول الضجيج الى دوي هائل وشاهدت الجسر يتابع سقوطه بما فيه الجزء الذي اوقفها بلايك عليه قبل اقل من ثانية.

اهتزت الأرض تحتهم فيما زحف بلايك الى الأمان وشاهدت جودي الشاحنة تدور في الهواء مطولاً وتسقط على الصخور متناثرة ومحترقة وسط غيمة من الركام والاحجار غطت الوادي لعدة دقائق ثم ساد الصمت.

ببطء تململ بلايك. نهض متثاقلاً وهو يحدق بالمكان الذي كان الجسر فيه. نفض الغبار عن ثيابه وامسك جودي من يدها ليساعدها على النهوض قائلاً بغضب:

- في المرة القادمة حين تريدين تمثيل دور البطلة اختاري جسراً يعلو متراً او مترين عن سطح من الاسفنج!

ما ان استردت جودي رشدها حتى ابتعدت غاضبة، فقد نجح في اظهارها بمظهر الفتاة الحمقاء والمتهورة.

عادوا بخطى متباطئة الى الطريق. كانت السيدة ريدجواي تسند ظهرها الى شجرة دون ان تبدو اي ملامح اضطراب على وجهها، فيما تجمع السيلانيون وقد ربط الرعب السنتهم. وتدريجاً برز خطر جديد امام المسافرين... ها هم في عمق الادغال المجهولة وقد فقدوا للتو الطريق الوحيد للعودة الى الحضارة.

كأنه اراد ان يستجمع شتات فكره، اقترح بلايك ان يختاروا مكاناً مناسباً للاستراحة. كان يتكلم باطمئنان لكنه لم يخدع جودي... فهي شاهدت وجهه يمتقع وهو يحدق بالهوة العملاقة التي خلفها الجسر وتذكرت انهم قبل الوصول اليه اجتازوا اكثر من مئة كيلومتر في غابات موحشة لا مدنية فيها.

لماذا انهار الجسر؟ سؤال لم يعد مهماً... ربما الامطار الاستوائية الأخيرة اضعفته. او لعل مرور الزمن اصاب نقطة حيوية منه بالاهتراء والتفتت مما جعله ينهار عند مرور الشاحنة عليه. مر كل

ذلك في فكر جودي وهي تتساءل عن مصيرهم القاتم وقد فقدوا وسيلتهم الوحيدة للنقل وكل امتعتهم و. . . جهاز اللاسلكي الذي اصبح مع الشاحنة قطعاً متناثرة في قعر الوادي.

وفي محاولة لاخفاء قلقها، جمعت جودي الصغار قربها فيما تحلق الباقون حول بلايك في فسحة عند جانب الطريق. جلس الجميع ارضاً وقد تعلقت ابصارهم بالرجل الوحيد الذي قد يقدر على انقاذهم. رويداً رويداً بدأت الشمس بالمغيب. . .

بدأ بلايك بطرح اسئلته بلغتهم، محاولاً استجلاء اي فرص للحصول على نجدة من الخارج، لكن النتائج لم تكن مشجعة اطلاقاً اذ ان احداً لم يكن ينتظر قدومهم في كولومبو فقد جرت العادة ان يزوروا اقرباءهم في العاصمة دون موعد مسبق لأن الناس في سيلان تتبادل دائماً الزيارات التي قد تدوم عدة اشهر حين يكون الزائر قادماً من قرية بعيدة، اما بالنسبة للصغار فالمدرسة لن تبدأ قبل اسبوعين او ثلاثة. وحتى بعد الدراسة فقد يتأخر تلميذ عدة اسابيع قبل ان تحاول الادارة معرفة ما يعيق قدومه.

كانت جودي كذلك تسافر دون ابلاغ احد في كولومبو. اما الأرملة، فقد ابلغتهم ببرود وهي تقلم اظافرها انها لم تعتد اعطاء اي كان تفاصيل ذهابها وايابها. . .

نظروا جميعاً الى بلايك وقد تراقصت آخر شرارات الأمل في قلوبهم، لكنه اسر اليهم بانه لا يبرق الى وكيل اعماله بقصده السفر الى العاصمة الا حين يذهب لمقابلة رجال الأعمال فيها، وهو ما لم يكن ينويه في هذه الرحلة. اخبرهم بهدوء:

ـ يبدو اننا سنضطر للاعتماد على انفسنا!

راح يبتسم مظهراً اطمئنانه لكن من معه بقيوا واجمين. امسك

بالخريطة وراح يطالعها. وبعد وهلة توجه بالحديث الى الأرملة لكن جودي شعرت ان الكلام يعنيها هي ايضاً.

وقال وهو يبتسم وقد امتدت سبابته الى الخريطة:

ـ لدينا خياران. . . اما نتابع جنوباً او نرجع. وراءنا ستون ميلاً من السير عبر السهول وامامنا ثلاثون ميلاً من الأدغال التي تفصل بيننا وبين اقرب قرية.

هنا تكلمت الأرملة:

ـ قد يصادف مرور سيارة اخرى على هذا الطريق ينقذنا من فيها!

قالت ذلك دون اكتراث وهي تبحث في حقيبة يدها عن مشط. لكن بلايك اجابها:

ـ لا امل في ذلك. انا اسلك هذا الطريق من عشر سنوات ولم يصدف يوماً ان رأيت سيارة اخرى تسلكه مجتازة **تاندولا**، آخر دسكرة عبرناها هذا الصباح.

لم تعلق جودي على كلامه لكنها رجحت ان ما يقوله صحيح. سيلان ملأى بطرق وجسور شقت منذ سنين حين بدأ تنفيذ مشروع لانشاء مدن في الغابات تخفف الضغط السكاني عن العاصمة. لكن المشروع لم يعمر طويلاً وبقيت الطرق والجسور المستحدثة مهجورة لتسيطر عليها الغابات شيئاً فشيئاً.

راحت جودي تفكر. . . تذكرت طريقهم عبر السهول الجافة والتربة المشققة والاشجار اليابسة. كانت تعلم انها قادرة، هي وبلايك، على اجتياز المسافة دون ماء او طعام لكن الكبار والأولاد عاجزون عن ذلك. اما الأرملة فهي لا تقدر على السير.

وماذا لو تابعوا التقدم؟ فكرت جودي ملياً، فالغابات التي تعترض طريقهم تكاد لا تخرق. كما انها تعج بالحيوانات. ما فرص

نجاتهم فيها وكيف يدفعون عن انفسهم خطر الوحوش الضارية؟

شعرت باليأس يعتصر فؤادها. قبل نصف ساعة فقط كانوا جماعة من المسافرين في رحلة جميلة، وها هم الآن تسعة مفقودين قد يموتون اذا لم يتخذ احدهم قراراً صائباً.

تكلم بلايك محاولاً اخفاء قلقه:

- من الأفضل في رأيي ان نتابع جنوباً. ذلك قد يكون شاقاً وخطيراً، لكننا سنجد المياه وبعض الفواكه التي ستساعدنا على الاستمرار. اذا سلكنا الطريق الآخر لن تصمد نديا والآخرون اكثر من نصف نهار في الحر الخانق.

كانت جودي من رأيه اما الأرملة فقد رفعت كتفيها باستخفاف مع ان القرار مسألة حياة او موت لهم جميعاً، قائلة:

- كما تشاء يا بلايك!

اشار الى الخارطة قائلاً:

- اذا تابعنا السير في خط مواز للذي كنا نحاول سلوكه عبر الجسر نصل الى قرية راتوتا التي تبعد عشرة اميال عن هدفنا الأساسي نالندا. - ثم التفت بلايك الى رسوامي يبلغه التفاصيل بلغته.

جحظت عينا الرجل رعباً حين علم انهم سيجتازون الغابة لكنه بعد التفكير اقر بان هذا هو الحل الوحيد المعقول.

أيد جايامان الرأي نفسه ولاحظت جودي كيف خاطب بلايك كلاً من الرجلين بلغته دون صعوبة.

حين انتهى النقاش شاهدوا لون السماء فوق الوادي قد استحال بنفسجياً داكناً وبدأ الظلام يرخي سدوله على المكان. استل بلايك خنجره وطلب من الرجلين مساعدته على قطع الاغصان الوارفة لتشكيل ملجأ يأوون اليه لقضاء الليل. كان كل منهما، مثل اي

سيلاني، يضع خنجراً في وسطه. ففي بلادهم تحسم الخصومات بالخناجر وليس بالقبضات.

حاولت جودي تسلية الصغار بالطلب اليهم ان يبحثوا عن شيء طري يسهل النوم عليه، لكنهم اصروا على البقاء قرب نديا، فالرعب افقدهم اي رغبة باللعب. ساعدت العجوز على اعداد فسحة في الأرض ثم اتجهت نحو السيدة ريدجواي.

كانت الأرملة تراقب ما يجري حولها وقد ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيها. سألتها جودي بلطف:

- هل اقدر ان اقوم بأي شيء يزيد في راحتك؟

سألتها الأرملة بسخرية:

- مثلاً؟ حمام ساخن؟ سرير دافىء مريح؟ وجبة من اللحم والتوابل؟

تألمت جودي للجواب اللاذع لكنها اجابت بهدوء:

- ربما ما كان يجب ان اسأل!

مع آخر خيوط النهار تمت اقامة الملاجىء بواسطة اشجار البانيان واوراق الشجر الكبيرة. كان مدخلها بعيداً عن الوادي حيث تهب رياح باردة. نامت جودي والأرملة في خيمة ونامت نديا والأولاد في خيمة اخرى وفضل رسوامي النوم في العراء قرب الخيمة الثانية فيما تكور جايامان عند جذع شجرة. اما بلايك موريسون فنام على مرتفع مغطى بالاعشاب عند حدود المخيم في وضع نصف جالس كي يكون جاهزاً للتدخل عند اي طارىء.

في الظلام راحت جودي تتأمل السماء المرصعة بالنجوم عبر الفتحة في خيمتها.

سمعت الأولاد يئنون جوعاً واضطراباً وخوفاً من اصوات

الحيوانات في الغابة وراءهم. ووجدت صعوبة في الاقتناع بان ما تعيشه هو واقع وليس مجرد كابوس...

في جوارها نامت غرايس ريدجواي بهدوء. كان بلايك قد جمع ما يمكن من الاعشاب والأوراق الطرية التي استلقت عليها الأرملة دون شكوى. تمنت جودي لو انها تقدر ان تنعم بالهدوء الذي بدا ان الأرملة تتحلى به لكنها عجزت عن النوم لكثرة الاسئلة المتضاربة في رأسها. كيف سيأكلون؟ كيف سيتقدمون والسيدة ريدجواي تعيقهم عن السير؟

كانت جودي تعرف ان بلايك، في مركزه في الطرف الآخر من المخيم، مستيقظاً يفكر فيما يمكن عمله. وتعرف ايضاً انهما الوحيدان القادران ضمن المجموعة كلها. وعوض ان يوحدا جهودهما للخروج من المأزق راح كل منهما ينظر الى الآخر كعدو. كان يكرهها لظنه بانها احدث صديقات جيري، اما هي فتمقته لسماحه لنفسه باتهامها بهذه السهولة. كان دمها يغلي حين تتذكر وصوله الى ركوانا وعداءه الفوري تجاهها.

رفعت رأسها باستعلاء. داخل الخيمة المظلمة اتخذت قراراً ستلتزم به مهما طالت رحلتهم. فليفكر ما يشاء، هي بالتأكيد لا تنوي مطلقاً افهامه حقيقة ما حصل.

٣ - كيف تتأكد ان بلايك يقودهم في الطريق الصحيح؟ الا يمكن ان يكونوا الآن في طريقهم الى التهلكة والموت داخل ادغال تحتفظ ببقاياهم الى الأبد؟

حين استيقظت جودي بدا الفجر بلونه البرتقالي الخلاب يبتسم لها من خلال فتحة خيمتها. لم تكن تشعر بالبرد، فالتربة في الغابة تحفظ الحرارة بعد غياب الشمس الا ان ما ازعجها قليلاً هو احساسها ببعض التيبس في اطرافها من جراء نومها على الارض الصلبة. كانت الارملة قد سبقتها الى النهوض وقد اعادت ساعات النوم المريح الى لسانها كامل حدته فقالت:

ـ ها انا جالسة هنا انتظر ان يتحرك احدهم في هذا المكان اللعين!

ابتسمت ساخرة واشارت بيدها الى جودي لتتابع:

ـ اعطيني حقيبة يدي وساعديني الى الخارج. لقد مللت هذا الوكر الأخضر.

لم تشأ جودي ان تفهمها ان «هذا الوكر الاخضر» شكل حمايتها الوحيدة من الحيوانات البرية. صمتت وساعدتها على السير الشاق الى الخارج وقد امسكتها من ذراعها.

بدت السماء مشتعلة في المكان الذي اشرقت فيه الشمس فوق الوادي، لكن الارملة لم تكن في وارد الالتفات الى جمال الطبيعة اذ راح جسمها المحطم يتحرك بصعوبة وهي تتجه الى الفسحة في جوار المخيم.

كان الأولاد قد استيقظوا وقد انستهم المغامرة جوعهم فراحوا يلهون قرب الاشجار فيما انكبت نديا العجوز تبحث بين الاعشاب عما يؤكل وانشغل بلايك في حديث مع رسوامي العجوز. اما السنهالي فوقف صامتاً يراقب بزوغ الفجر.

جلست الأرملة تحت شجرة اكاصيا وارفة تستظلها. ما ان نظرت الى وجهها في المرآة حتى غضبت ورمت كل اغراضها بقرف وصرخت بجودي التي كانت تهم بالانحناء لمساعدتها:

ـ بحق السماء اذا اردت فعلاً مساعدتي احضري لي بعض الماء لأغسل وجهي!

التفتت جودي حولها منصتة لخرير الماء يرشدها الى مكانه. لم تكن حتى الآن قد رأت اي اثر له لكنها قدرت انه ولا بد موجود في الجوار. كانت هي ايضاً ترغب بالاغتسال فتابعت بحثها متفائلة وقد حفزت حواسها لسماع اي صوت وتنشق اي رائحة تدل على وجوده.

كانت قد ابتعدت بضع خطوات عن حدود المخيم حين اعترضها بلايك موريسون وخنجره يلمع في يده. اقترب وسألها بصوت عال:

ـ الى اين يا آنسة؟ اوتظنين انك ذاهبة في نزهة؟

اضطربت جودي لتأنيبه اللاذع. علا الاحمرار وجهها لكنها

رفعت رأسها عالياً متعمدة تجاهل السخرية في سؤاله لتجيب:

ـ لا بد من وجود بعض الماء في الجوار وانا ارغب في الاغتسال!

ـ ابقي مع الآخرين ولا تزيدي من مشاكلي فهي صعبة بما فيه الكفاية!

تابع تهجمه اللاذع عليها قبل ان تسنح لها فرصة الاعتراض:

ـ لا تقلقي. منظرك سيبقى مغرياً حتى نخرج من هذا المكان اللعين!

استولى غضب صامت على جودي. ازعجها، اكثر من كلامه الجارح، تأثرها به واضطرابها لسماعه. لكنها استعادت هدوءها وهمت بمتابعة البحث عن المياه ثم ردت عليه بكبرياء:

ـ اعتقد ان علينا الاتفاق على امر واحد يا سيد موريسون. انا قادرة على الاهتمام بنفسي. امضيت ست سنوات في سيلان واعرف طبيعة البلاد وجغرافيتها تماماً!

ـ حقاً؟

اجابها وقد برز كتفاه العريضان وحدق بها بنظرة ملؤها الاحتقار والسخرية ثم تابع:

ـ ما رأيك اذن لو ترشديني الى افضل وسيلة لاختراق جدار صلب من الغابات الكثيفة وانقاذ ثلاثة اطفال وثلاث عجائز وامرأة كسيحة بحاجة لمن يحملها؟

اسكتها اسلوبه العنيف. عجزت عن ايجاد كلمات ترد بها عليه. وحين شاهد حيرتها رفع حاجبه وتابع هجومه:

ـ ماذا؟ هل صمتت خبرتك العتيدة؟

اعماها الغضب. لكن حنقها لم يمنعها من الاجابة:

ـ افضل الاعتماد على قراراتك الصائبة... على الا تكون بفعالية

اختيارك لجسر ركيك تعبره لتوفر بضع ساعات فنفقد او نكاد عمرنا كله!

صمت للحظات خالتها دهراً ثم ابتسم مستعيداً ثقته بنفسه وتكلم بهدوء:

- سننجو!

اعيتها الحيلة معه. كان غروره يفقدها الرشد. آه كم تكرهه. اظهرت كل اشمئزازها منه بابتسامة متهكمة حفرت على شفتيها:

- . . . وطبعاً تعرف الطريق تماماً ولن تجعلنا نتوه في الغابة وندور وندور لنرجع الى المكان ذاته!

اجابها دون ان يفقد هدوءه:

- بدون شك. الا تعرفين استعمال ساعة اليد كبوصلة؟

كانت جودي تجهل ذلك. حاولت دون جدوى التملص من الاجابة لكن ذلك لم يفته.

تابع بثقته المتناهية:

- الأمر سهل، اخلعيها كي اريك كيف.

اطاعته رغماً عنها. خلع بلايك ساعته ووضعها قرب ساعتها. كانت الاثنتان تشيران الى السادسة الا خمس دقائق. اشار الى حيث اشرقت الشمس فوق الوادي ليقول:

- عند السادسة، قبيل الفجر، تديرين عقرب الساعات باتجاه الشمس (نفذ ما يقوله وتابع الشرح) للاتجاه جنوباً، وهو وجهة سيرنا كما تعرفين ولا شك نتبع اتجاه العقربين المتطابقين في وضع التاسعة الا ربع. في منتصف النهار يصبح اتجاه الجنوب مطابقاً لوضع السادسة والنصف. اما عند المغيب، حوالي السابعة، فيصبح الجنوب في اتجاه الرابعة والثلث.

كانت جودي ضائعة تماماً وقد عجزت عن استيعاب كلامه لكنها لم تلق سلاحها بعد:

- أأفترض انك وجدت وسيلة لرؤية الشمس عبر غابة مظلمة من الاشجار الكثيفة؟

اتاها الجواب حاداً كالسكين:

- طبعاً، يتسلق احدنا شجرة عالية.

شع وجهه وهو يقول ذلك بابتسامة المنتصر. كانت جودي تعرف انه يستمتع باظهار تفوقه عليها. ارادت استعادة التوازن المفقود فرفعت رأسها وابلغته، بما يشبه الثقة بالنفس:

- انا مستعدة لاداء حصتي من العمل حتى نبلغ بر الأمان.

اجابها دون ان يفقد عنجهيته:

- في هذه الحالة، بامكانك افادة الجميع بالبحث عما يمكن اكله.

صمت لوهلة ثم اعاد التحديق بها مردفاً:

- اظن انك قادرة على تمييز الثمار التي يمكن أكلها!

- طبعاً سيد موريسون!

اجابته وقد لمع ثغرها بابتسامة باردة. كانت تهم بالانصراف الى مهمتها الجديدة حين اعترضها بملاحظة اخيرة:

- ناديني بلايك. في ازمة كهذه، لا مجال للألقاب.

- وانت ادعني جودي.

قالت مبتسمة وابتعدت وقد بدأت اعصابها بالاسترخاء. لكنه طبعاً لم يدع لها الكلمة الاخيرة اذ اردف:

- ولا تبتعدي كثيراً عن المخيم!

تجاهلته وقد عادت تشعر بالغضب يلون محياها. رجل كريه. آه كم تحب ان تحدث خرقاً في كبريائه المصفحة بالدروع.

ما ان ابتعدت حتى تذكرت انها لم تحضر الماء للارملة ريد جواي. لكنها بالأمس بللت منشفتها بمياه الساقية قرب اشجار الكاسوارينا ووضعتها مطوية في جيب سروالها العازل كي ترطب وجهها بين الحين والآخر. اقتربت من الأرملة واعطتها قطعة القماش المبتلة معتذرة:

- آسفة. هذا افضل ما امكنني العثور عليه!

رفعت الأرملة حاجبها باستغراب مصطنع وهي تتسلم المنشفة. نظرت بتشدد الى الفتاة قبل ان تطلق لسانها مجدداً:

- مواهبك في العثور على الماء فاقت كل تصوراتي!

تركتها جودي ترطب وجهها وسارت لتقترب من نديا. كانت العجوز لا تزال تبحث بين الأعشاب العالية عما يمكن اكله فانضمت الفتاة اليها. تحدثتا قليلاً بالتاميل عما قد تعثران عليه من تين بري، مانجا، او اية ثمار مشابهة. كان الأولاد، مثل السيلانيين البالغين، حفاة الاقدام، فالأحذية في سيلان من الكماليات الباهظة. تغلغل كيري وراجا وداتو بين الاشجار القريبة وقد انضموا الى حملة البحث عن الطعام.

بدت الارض، قرب الفسحة حيث المخيم، مغطاة بطبقة كثيفة من الألياف والنباتات. لكن هذه، رغم غناها الظاهر، لم تحمل اي طعام للتائهين.

توقفت نديا وقد اضناها التعب والانحناء. اخلدت للراحة في خيمتها الخضراء وتبعها كيري وراجا كالحي الملامح. لاحظت جودي غياب داتو فقررت اللحاق به واعادته تنفيذاً لتعليمات بلايك.

شاهدت جسمه النحيل يضيع بين الاشجار ثم يتسلق احداها

ويستكشف غصنها بيديه. سمعته يصرخ مبتهجاً بغنيمة فرقص قلبها فرحاً وتبعته لتعرف ما وجد. كان يتأرجح متعلقاً بالغصن حين اقتربت فقفز برشاقة القرد حاملاً حفنة من التوت البري في يده.

حدقت به جودي غير مصدقة وقالت باندهاش:

- داتو. انت رائع. هذه ثمار شجرة الكولام.

ابلغته الفتاة وهي تتذوق حبة مما احضره وتابعت:

- انها لذيذة. تذوقها!

- لا!

صرخ داتو غاضباً وحدق بالثمار متسائلاً ثم ركض باتجاه المخيم.

- سيد موريسون. انظر ماذا وجدت!

اغضبها اصراره على الرجوع الى بلايك في ابسط الأمور فصرخت تناديه:

- ارجع يا داتو. انها صالحة للأكل تماماً!

لكن الفتى لم يمتثل لها بل تابع عدوه. تبعته جودي بتأفف الى حيث انحنى بلايك يعمل مع جايامان وراسوامي. اقترب بحماس باسطاً يده المحملة بالثمار ليقول:

- سيد موريسون، انظر!

كان بلايك يقطع بعض الألياف بخنجره حين ناداه الغلام. ألقى نظرة على الغنيمة الدسمة فافتر فمه عن ابتسامة مشجعة ملأت الولد حبوراً، ثم هنأه قائلا:

- ثمار الكولام... هذه من أفضل انواع التوت البري!

لحقت جودي بهما وهي تلهث متعبة لتشكو:

- اخبرته انها صالحة للأكل لكنه لم يصغ!

أخبره بلايك بلغة التاميل وهو يسترق النظر الى جودي ويبتسم

بخبث:

- اياك ان تثق بامرأة يا صغيري.

كانت الفتاة تعلم انه يلمح بكلامه الى ما ظن انه شاهده في الركوانا. تجاهلت كلامه على الرغم من شعورها بالمهانة، لكن ما زاد ألمها ان داتو الصغير لم يكترث لرأيها بل أصر على استشارة بلايك قبل كل شيء. كان جلياً انه ينظر اليه كمثله الأعلى وكبطله بدون منازع.

في محاولة منها لانتزاع بعض الاهتمام من الفتى اقترحت عليه بحماس:

- هيا بنا نقطف ثمار التوت يا داتو.

اعترضها بلايك دون ان يوقف عمله قائلا:

- عليكِ احضار كمية منها تكفي لرحلتنا الطويلة. قد لا نجد طعاماً آخر قبل مرور أيام.

قالت جودي بعد ان فكرت في كلامه:

- وأين أضعها؟ لا وعاء لدي.

نهض بلايك وحدق طويلا بها ثم تكلم بكثير من الصبر وبما يشبه التهكم:

- استعملي مخيلتك. بامكانك صنع سلّة من الألياف والأوراق الموجودة بكثرة.

عجزت الفتاة عن قول أي شيء. رفعت رأسها عالياً واستدارت. كانت ستجد هذا الحل لو ترك لها مجالا للتفكير.

سبقها داتو لابلاغ رفيقه راجا وكيري باكتشافه الهام. وسرعان ما تجمع الأولاد الثلاثة وتسلقوا الأشجار ليرموا ما في اغصانها من ثمار لجودي التي اعتبرت اكتشافهم مدعاة للفخر فعلا، فتلك الثمار خالية من البذور وملأى بالعصير المغذي.

جمعت جودي حصة الأرملة على ورقة خضراء كبيرة ومشت نحوها باعتزاز. كانت السيدة ريدجواي قد راقبت من بعيد كل ما حصل دون ان تتخلى عن تهكمها المعتاد. عوض ان تظهر بعض الرضى لما تقدمه جودي اليها بادرتها بصوت لاذع:

- سأنتظر الى ان تعثروا على ما يصلح طعاماً للبشر!

لكن جودي لم تستسلم وألحت على الأرملة بأن تقبل.

- هذا التوت مغذٍ وسيجدد قواك كي تتمكني من تحمل المشاق.

- وهل تريدني أتسلق الأشجار مثلكم كي أشقى وأتعب؟ ها أنا ملقاة على جذع شجرة كدمية يعرض عليها الخياط ما لديه من ألبسة.

كان جواب الأرملة قاسياً فقررت جودي تناسي الموضوع. شعرت ان السيدة ريدجواي ماهرة في اشعارها بالخيبة في كل مرة تحاول فيها مساعدتها.

بعد ان أكل الباقون ما يكفي من التوت قامت نديا باعداد سلة لنقل زادهم من ثمر الكولام. كانت أصابعها النحيفة والمتجعدة تحيك برشاقة الألياف الطويلة وبعض الأوراق العريضة لتصنع منها في النهاية وعاء مستطيلا يشبه القارب علقته في كتفها بحبل صنعته من الجذور المتينة.

في الوقت نفسه بقي الرجال يتابعون عملهم في تقطيع الأغصان. اتجهت جودي نحوهم لتراقب ما يفعلون بعد ان أنعشها التوت البري. حين وصلت رأت بلايك يشرف على ربط الاغصان ببعضها البعض بواسطة ألياف طويلة. بعد دقائق من التأمل والتفكير فهمت ماذا يهدفون اليه، فقالت:

- محمل للسيدة ريدجواي! يا لها من فكرة ذكية.

أجابها بلايك بنبرة الواثق من نفسه:

- تقليد متبع لدى كل فريق يتيه في الأدغال وبرفقته شخص مصاب او مقعد.

- بالطبع.

اجابت جودي متضايقة من جهلها الظاهر. بقيت مكانها تراقبه، متمنية ان يربكه وجودها ويدفعه لارتكاب خطأ، لكنه على العكس من توقعاتها بدا وكأنه يجيد عمله تحت المراقبة.

راح جايامان السنهالي يعمل ايضا بجهد. لاحظت جودي انه، رغم انطوائه على نفسه، يثق ببلايك تماماً وينفذ تعليماته دون تردد. من وقت لآخر رأت السيد موريسون يخاطبه بلغته فيجيبه العجوز بارتياح ظاهر. كان رسوامي الوحيد الذي بدا ان جايامان يكنّ له البغضاء وان حاول اخفاء ذلك، لكن العجوز ذا السن الواحدة والعينين الغارقتين الدامعتين لم يظهر عليه الاهتمام.

حين شارف العمل على الانتهاء واتخذ المحمل شكله النهائي، أخذ بلايك استراحة قصيرة ليشرح لجودي طريقة العمل.

- أنا سأرفعه من المقدمة وسيتعاون رسوامي وجايامان على حمل المؤخرة. لكن نديا والأولاد يقلقونني، اذ لا يمكن ان أتركهم يسيرون خلفنا فيعيقوننا ولا تسعني المخاطرة بتركهم يسبقوننا في ادغال ملأى بالمفاجآت.

اعترضته جودي محاولة ابراز جدارتها:

- ولم لا؟ انا سأكون معهم في المقدمة ولن أدعهم يبتعدون كثيراً! انت تعلم ان الحيوانات البرية والوحوش تفضل التوغل في اعماق الغابات متجنبة سلوك الطرق المنبسطة التي لا تخفيها عن الأعين. لن نصادف في طريقنا الا السناجب وصغار القوارض.

أدار بلايك الاقتراح في رأسه فوافق عليه دون حماس:

- يبدو اقتراحك الخيار الوحيد الممكن، وسنعمل به!

كانت فرحة النصر قد بدأت تلمع في عيني الفتاة حين أعادها بلايك بحزم الى الواقع.

- فقط تذكري امراً واحداً، نحن لسنا في نزهة مدرسية وسيكون من واجبك ان تبقي الأولاد في متناول يدنا. عند أي طارىء تعلمينني فوراً.

- بالطبع! وهل أجرؤ على غير ذلك؟

أجابته متصنعة التواضع لكنه تظاهر بعدم سماعها.

كان النهار في منتصفه حين انتهى العمل تماماً في الكرسي المتحرك الجديد للسيدة ريدجواي. حملها بلايك اليه وقيدها بالألياف كي لا تقع وحين رفعها الرجال الثلاثة وساروا بها تذكرت جودي مشهداً من فيلم قديم رأته، كليوبترا تقوم بنزهة على أكتاف العبيد.

كانت نديا قد جمعت الأولاد وبعد ان انضمت اليهم جودي تجاوزا الموكب حاثين الخطى. ساروا بمحاذاة الوادي حسب تعليمات بلايك للمرحلة الأولى من الطريق.

وتقدموا ببطء. لم تكن الأرملة ثقيلة الوزن لكن العجوزين رسوامي وجايامان كانا ينوءان بحملها مع ان معظم الثقل وقع على منكبي بلايك الذي اضطر للابطاء باستمرار كي يتمكنا من مجاراته في السير.

ابتعدوا عن الوادي بعد نصف ساعة من السير وتوغلوا بين الأشجار. كان شلال من المياه يتساقط على جرف صخري فوقهم ويضيع في الهضبة الملاصقة. اعتراهم حزن كبير وهم يسمعون خرير المياه على علو عشرة أمتار منهم دون ان تكون بحوزتهم اي وسيلة لبلوغها، فجدار الجرف الصخري الموازي لطريقهم أملس لا يمكن

تسلقه.

قادت جودي الفريق عبر طريق بدا مهجوراً منذ زمن بعيد. كانت تحاول صم آذانها عن صوت المياه التي بدت وكأنها تحاول اغاظتهم وحاولت التلهي عن الشعور بالعطش بالتأمل في الطبيعة الخلابة حولها حيث احاطت طريقهم من الجانبين اشجار من كل نوع ولون.

بعد ذلك عبروا في أرض رطبة تصل حشائشها حتى الخصر وتخترقها في أماكن متفرقة نتوءات صخرية عالية. كان المسافرون يتوقفون للراحة من وقت لآخر وخلال احدى الفترات وصلوا الى فسحة في الطريق كشفت امامهم تلالا ووديانا تغطيها الأشجار والأدغال. خافت جودي من التفكير بأن عليهم العثور على طريق النجاة وسط تلك الغابات اللامتناهية.

من تلك الفسحة أعاد بلايك تحديد مكانه نسبة الى الشمس، وبعد استراحة قصيرة تابعوا السير. بعد الظهر بلغوا ساقية صغيرة خريرها ينساب همساً بين الأشجار. شربوا جميعاً وقد أضناهم العطش وبالأخص الصغار الذين كانوا يلعبون ويتسابقون اثناء السير. وحين انطلقوا مجدداً بعد استراحة قصيرة وجدت الفتاة صعوبة جمة في ابقائهم تحت مراقبتها. وأحياناً كانت تنال تأنيباً قاسياً من بلايك حين يكتشف انها تركتهم يغيبون عن ناظريها. على الرغم من ذلك حافظت الفتاة على رباطة جأشها، فهي لم تكن في وارد التأثر بملاحظات رجل يريد ان يؤكد سلطته في كل خطوة بالأخص حين دخلوا في بقعة جميلة ازدانت بالأزهار الملونة. هناك كانت صفوف من أزهار البغونيا والبلسم والكسيولاريا تشع بين الأشجار العالية بألوانها الذهبية والحمراء والصفراء.

سارت جودي الى جانب الصغار متجاهلة بلايك المقطب الشفتين خلفها. سمعت خرير الماء في كل مكان وشاهدت مؤونة التوت تتأرجح في السلة المعلقة في كتف نديا المتصبة كشجرة قديمة، ولذلك لم تجد أي سبب لفقدان عزيمتها.

تابعوا الزحف طيلة بعد الظهر، عبر تلال ومنخفضات يغشاها الاخضرار وتخترقها صخور علاها الطحلب، شاهد عيان على السيول الموسمية. وفوقهم، دائماً فوقهم، سقف طويل اخضر يحجب تقريباً نور الشمس عنهم. مع المغيب قرروا التوقف.

اختار بلايك واحة صغيرة في فسحة في الأرض لقضاء الليل. وارتمت جودي منهكة وقد اطاح تعب قاهر بمعنوياتها العالية. كانت رجلاها ترتجفان من جراء ساعات السير الشاق الطويلة عبر عوائق وحواجز يصعب تجاوزها. كذلك أصابها الجوع بالدوار وشعرت ببعض الغثيان.

بعد دقائق بدأت العجوز نديا توزع التوت. اضطرت الأرملة، وقد شحب وجهها جوعاً وتعباً، الى تناول بعض الثمار. اما داتو وراجا فقد اخلدا للنوم دون طعام. بعد ذلك، وقد لمعت عيناه في الظلام احتمى كيري بجدته لينام وقد أفرغ الخوف قلبه من فرح اللهو في النهار.

تناول رسوامي وجايامان طعامهما واختار كل منهما زاوية لينام فيها، وهو أبعد ما يكون عن الآخر. كان بلايك الوحيد الذي لم يبد عليه التعب، فقد انهى طعامه بتمهل ونهض يصنع خيماً من الأعشاب لقضاء الليل. راقبته جودي منهكة لكنها استجمعت قواها ونهضت عارضة عليه المساعدة، محاولة مرة اخرى ابراز تصميمها على اداء قسطها في كل الأعمال الشاقة الضرورية.

بعد ساعتين من العمل الدؤوب كانت خيمتان تنتصبان وسط تلك الفسحة. في الأولى نامت نديا والأولاد وفي الثانية أودعت غرايس ريدجواي واستلقت قربها جودي وقد غلبها التعب. كانت سعيدة بوجودها في ملجأ يدفع عنها الحيوانات البرية، فالأدغال في الليل تعج بكل أنواع المخلوقات تتنازع صراع البقاء وتخوض ألف معركة ومعركة تحسمها شريعة واحدة: البقاء للأقوى...

كانت جودي منهكة لكن النوم هجر مآقيها. استلقت تحدق في الظلام وتفكر في الطريق الطويل الذي ما زال امامهم. كان تقدمهم بطيئاً، فنقل الأرملة الكسيح عبر الغابات الكثيفة اعاقهم كثيراً. قدرت المسافة التي اجتازوها بميلين. انتفض قلبها يطرق بعنف حين فكرت في الثلاثين ميلا او اكثر التي ينبغي ان يجتازوها قبل ان يأملوا بالخلاص. كم من الوقت سيلزمهم لذلك؟

سؤال آخر زعزع قلبها. كيف تتأكد ان بلايك موريسون يقودهم في الطريق الصحيح؟ هل يمكن اعتبار طريقته في الاسترشاد بالشمس لتحديد وجهة السير وسيلة مضمونة فعلا؟ أليس الأمر مجرد افتراض يصعب اثباته؟ الا يمكن ان يكونوا الآن في طريقهم الى التهلكة والموت داخل أدغال ستحتفظ ببقاياهم الى الأبد؟

منعها الخوف من متابعة هذه الأسئلة. اخلدت للنوم وقد اثقلت الهموم صدرها...

في الصباح التالي بدأوا بالسير باكراً بعد ان تسلق بلايك شجرة عالية ليرى الشمس ويحدد مكانهم وساروا في الشكل الذي حدده في اليوم السابق.

كان الصغار اول من بدا عليهم تأثير المشقات. فقد توترت اعصابهم لقلة الراحة وبدأوا يتخاصمون فيما بينهم. حاولت جودي

الهائهم بالنكات والأغاني لكنها هي نفسها كانت أقرب الى البكاء، فأطرافها راحت تؤلمها بعد ليلتين من النوم ارضاً وصارت تجهد لكي لا تئن اثناء السير. بدت غرايس ريدجواي منهكة ايضا لكنها قبعت على محملها مستسلمة لقدرها بصمت.

الا ان مفاجأة جميلة اعترضتهم في الصباح. فقد عثرت نديا على اقراط من الموز السيلاني الصغير والطيب نمت لوحدها في الطبيعة. كان القليل منها ناضجاً لكن المسافرين اقتسموا ما يمكن أكله دون شكوى وأعطى بلايك حصته للعجوزين اللذين أضناهما حمل الأرملة.

تكرمت جودي هي الأخرى فأعطت معظم حصتها للصغار الذين استعادوا هدوءهم وراحوا يلعبون ويتسامرون ويمعنون النظر فيما حولهم علهم يجدون ثماراً أخرى.

كان الطريق يمر وسط طبيعة خلابة وشاهد الجميع انواعاً مختلفة من السناجب، منها الصغير الأحمر ذو الفراء الجذاب ومنها السنجاب الطائر الذي لا يطير فعلا بل يستعمل غشاء املس يجمع بين قائمتيه الاماميتين والخلفيتين ليتمكن من الهبوط بسلام قافزاً كالمظليين من أعلى الأشجار ومجتازاً مسافات طويلة في تحليقه الانسيابي من غصن لآخر.

تابعت القافلة سيرها فيما أسراب من الحمام المتنوعة الألوان تهدل وسط الأشجار لافتة النظر بلون اجنحتها النحاسي. من وقت لآخر كانت هذه الاوركسترا الفريدة تصمت لينطلق طائر «أبو الحن» بشدو منفرد يعتبر أجمل الأصوات على الاطلاق في سيلان. كذلك قامت طيور الحمام الرمادية الذهبية اللون بمواكبتهم على مسافة طويلة ولولا التعب المسيطر على حواسها لكانت جودي امتلأت حباً

واعجاباً بهذا الفردوس الأرضي.

لم تتوقف القافلة الا عند حلول الظلام حيث أصبح التقدم وسط الأدغال امراً مستحيلا. استلقوا في أول فسحة مناسبة محاولين تناسي جوعهم. راح كيري يئن وقد التصق بجدته العجوز وجلس راجا قربها ليشعر بالاطمئنان. اما داتو، ابن السنوات الثماني ذو النزعة الاستقلالية، فقد تكور ونام بعيداً عن الجميع.

لكن جودي لم تنم بل انطلقت تساعد بلايك على اعداد الخيم راغبة في ابراز جَلَدها وقوة تحملها مما ضاعف من نشاطها. انكبت على الألياف العريضة تساعده في قطعها. كانت نظيفة الملابس مرتبة الهندام. شعرت به يحدق بها في الضوء الخافت ثم قال مبتسماً وهو يتظاهر بالغيرة:

ـ أهنئك... تبدين في حالة ممتازة.

نظرت اليه مذهولة بقدرته على الصمود. لكن ثقته لم تقلل من مخاوفها فخاطبته بقلق:

ـ لا زال تقدمنا ضئيلا. أليس كذلك؟

نفض كتفيه بعدم اكتراث وتابع العمل وهو يجيب:

ـ رسوامي في الثالثة والسبعين. جايامان في التاسعة والستين. نحن مضطرون للسير بسرعتها.

شاهد القلق يرتسم على ملامحها فنهض وقد افتر ثغره عن ابتسامة متواضعة وهو يقول:

ـ تشجعي. تبدين بحالة جيدة ولا شك انك ستكونين جميلة حين نصل!

ـ أنا أفكر في نديا والأولاد. السير الشاق ينهك قواهم.

اعجبه اهتمامها بالآخرين لكنه لم يظهر ذلك. انكب للحظات

على الألياف المقطوعة يجمعها ثم تأملها صامتاً لوهلة قبل ان يقول:

ـ عليك ببعض النوم. انت ايضا متعبة وبحاجة ماسة للراحة. لا زال امامنا الكثير من المشقات قبل ان ننجو!

شاهدته يبتسم وعللت ذلك بكونه سعد لرؤيتها قلقة ومضطربة. ارادت ان تصمت وتطوي الموضوع لكن لسانها سبقها فقالت تتهمه:

ـ أنت سعيد لرؤيتي خائفة!

كان منظرها وهي تعانق جيري لا زال عالقاً في ذهنه. سارا الى حيث غطت الأرملة بالنوم وهنا اجابها مبتسماً بسخرية:

ـ فلنقل ان البعض ينالون ما يستحقون!

صمتت لوهلة وقد غلبها شعور بالحقد. كانت تمقته وتكره اعتداده وثقته الصلبة بنفسه. شعّ البغض في عينيها الخضراوين حين أجابته ببرود وهي تنظر اليه وتبتسم:

ـ فعلا. البعض ينالون تماماً ما يستحقون!

أخذت حصتها من الألياف لتشكل بها سياجاً حول الأرملة وحولها ثم أخلدت للنوم دون ان تلتفت اليه.

٤ – سخطت عليه لأنه يعاملها كفتاة قاصر. ولكنها للمرة الأولى لم تشعر بالغضب او بالنفور لرؤيته. بل احست بوجوده الآن يدخل الطمأنينة على قلبها المثقل بالهموم...

اختلط زعيق دجاج الأرض بصوت الاغصان تتكسر تحت اقدام المسافرين يتقدمون بجهد متراً بعد متر. كانت الألياف المتشابكة تؤدي مراراً الى تعثرهم وسقوطهم لينهضوا بعد ذلك بصمت وقد سال الدم من خدوشهم وجروحهم من وقت لآخر. راحت جودي تتساءل كيف حصل هذا ولماذا تحولت رحلتهم الجميلة نحو العاصمة الى كابوس له من العمر خمسة ايام توازي العمر كله. كان الحريلف التائهين وهم يشقون طريقهم وسط الجحيم الاخضر يعدون الدقائق والثواني تمر رتيبة بطيئة كالساعات...

سارت جودي كالنائمة وهي تراقب بطرف عينها حرباء تتسلق الاشجار والاغصان وقبائل النمل في قوافلها الطويلة قرب جذوع

الاشجار. كانوا قد عثروا قبل يوم على شجرة من التفاح البري قطفوا ما نضج من ثمارها لتحمله نديا في سلتها المستطيلة ثم بعد الظهر توقفوا قرب نبع يمر بين صخرتين كبيرتين ليغسلوا اقدامهم ويرتاحوا قليلاً. بعد ذلك قصت عليهم العجوز اساطير مدينة راتنابورا القديمة بجدرانها المرصعة بالماس والياقوت، والتي امتدت شهرتها عبر القرون.

راحوا يتقدمون الآن عبر التلال الحرشية. كان الماء يندر هنا لكن الغابة كانت تعج بالطرائد. شاهدت جودي حيوان السمهور من بعيد ورأت آثار الغزلان والظباء. تخيلت الأيل رافعاً رأسه وناصباً اذنيه الكبيرتين ليبتعد هارباً عند اي صوت، متوغلاً في الادغال الكثيفة.

اضطرت جودي ان تضاعف حذرها كي لا تفقد احد الأولاد. كان كيري وراجا يسيران بحماية العجوز وقد اعتراهما الخوف، لكن داتو انزعج من مراقبة جودي الدائمة له، فراح يستفزها احياناً ويتوارى عن ناظريها لتبدأ بالصراخ والبحث عنه. آلمها كونه يفضل مرافقة بلايك عليها. كانت دائماً تضيعه فتلتفت لتراه يسير بفخر قرب زارع الشاي وقد غرق الاثنان في حديث شيق بلغة التاميل فيما لمعت البهجة على وجه الصبي. تابعت سيرها في المقدمة وقد شعرت بالضيق...

تابعوا السير في طريق راحت تزيد مشقة مع كل خطوة. تدريجياً ازدادت الاشجار والطحالب على جانبي الطريق وتقوست الأشجار فوقهم فيما يشبه نفقاً تدلت منه انواع مختلفة من الألياف والنبات. عبروا في غابات كثيفة وفجأة وجدوا انفسهم مع آخر النهار في فسحة رأوا منها السماء الصافية.

كان لونها خلاباً اختلط فيه الأزرق الفاتح بالرمادي واخترقته سحابات ذهبية وقرمزية. وكأن الطبيعة لم تكتف بهذا القدر من الجمال بل عكسته عبر صفحة بحيرة هادئة احاطت بها ازهار البرسيم الحمراء الكبيرة التي تحلقت حول كل منها جماعات صاخبة من الطيور.

كانت نباتات طويلة تخترق صفحة المياه قرب الشاطىء وتحركها الرياح فترسم حولها دوائر مائية تتعانق في حلقات متفاوتة الاحجام فيما راحت طيور الفلامنكو البيضاء والزهرية تشكل صفوفاً طويلة وقفت في الماء عند الشاطىء المقابل. هناك على الضفة الأخرى جالت طيور البلشون الطويلة السيقان ومن قمم الاشجار العالية المقابلة سمع زعيق النسور في اعشاشها.

في سكون المساء وصمته كان عبير الأزهار المتفتحة يمتزج بالرطوبة المنبعثة من المياه لينفح جودي بحب الحياة وبأمل انتعش مجدداً بعد ان كاد يخبو. كم تمنت عندئذ ان تبقى ألوان السماء دون تغيير، ان تتجمد كما لو في صورة، في لوحة جميلة تتأملها الى الأبد. لكن بلايك بلهجته الحازمة قطع عليها تأملاتها قائلاً:

ـ سنخيم هنا الليلة!

كان قد تبعها الى حيث وقفت مع الأولاد تتأمل السمك الفضي يندفع كالرمح في المياه الصافية. قال وهو يجول بنظره الثاقب في البحيرة:

ـ غداً صباحاً سنحاول اصطياد ما يمكن اكله. حتى ذلك الحين ابقي بعيدة عن الماء فلا احد يعرف ماذا يختبىء تحت سطحه!

اغضبها كلامه وشعرت انه يعاملها كفتاة قاصر، فصرخت به:

ـ لست حمقاء. اعرف اننا في غابات سيلان وان المكان قد يؤوي تماسيح مفترسة!

لكن غضبها زاد من مرحه فأجابها بابتسامة ساخرة:

ـ لو ان في المكان تماسيح لما تركتك تقتربين من بحيرتها دون عقاب.

نظر الى السماء وتابع قائلاً:

ـ لدينا عشر دقائق قبل حلول الظلام. يجب ان نسرع!

جمعت جودي الأولاد وتبعته غاضبة تنظر اليه بحقد. فليهزأ بخبرتها ما يشاء. هي تعرف ان بعض بحيرات وأنهار سيلان تعج بالتماسيح.

بعد قليل، وقد استلقت تحت خيمة نصبت بسرعة، راحت تتسلى بالتفكير في طريقة الانتقام من بلايك موريسون الكريه. كان ينوي في الغد اصطياد طريدة ما في جوار البحيرة. حسناً، سيكون من المسلي رؤيته يحاول ذلك بدون سلاح ويعود خائباً بعد ان حاول دون جدوى اصطياد سمكة سريعة او طائر محلق بخنجره.

ابتسمت بدهاء وهي تتصوره يحاول ذلك. ثم اخلدت للنوم سعيدة تحلم بما سيحمله الغد من تسلية.

استيقظت على زقزقة العصافير. خرجت لتشاهد الطيور الكبيرة تحلق جائعة فوق ضفة البحيرة. شاهدت انوار الصباح وقد انتشرت فوق رؤوس الاشجار فبدت هذه الطيور كالتماثيل امام شريط الافق الشاحب الذي بدأ بالتوهج.

تجاهلت جودي مزارع الشاي الواقف قيد خطوات منها على الضفة المعشوشبة وبقيت في مكانها تراقب مولد نهار جديد. شاهدت غرة السماء الصفراء تتحول تدريجاً الى البرتقالي المشتعل فيما بدأت

الشمس تشرق من وراء الغابات الكثيفة. كان سطح البحيرة كالمرآة يظهر كل الألوان المتغيرة ويعود فيعكس وهجها على الاشجار والنباتات المحيطة بها. بدا المنظر اجمل من ان يوصف.

ثم دوت صرخة باكرة مزقت الصباح، وكأنها جاءت مناقضة لنعومة الجو السائدة... سألها بلايك وقد اقترب دون ان تشعر:

- اسمعت؟ هذه صرخة دجاجة الأرض.

وكعادته وقف يبتسم بثقة.

لم تدر الفتاة لماذا اصابها كلامه بالضيق، لكنها اجابته برقة:

- لقد سمعت هذا الصوت سابقاً.

اشاحت بنظرها عنه لتعاود النظر الى البحيرة بكبرياء والدها علمها كل ما تجب معرفته عن سيلان وهذا المدعي لن يزيد عليه شيئاً.

ثم تذكرت امراً. دجاج الأرض طائر حذق وصعب الاصطياد، لكأنه يعرف ان لحمه طيب المذاق فلا يسقط بسهولة. تذكرت وعد بلايك في الليلة السابقة فسألته وابتسامة عريضة تغطي وجهها:

- هل ستصطاد واحدة؟

اجابها محدقاً بالسماء:

- ربما فيما بعد.

سألته بخبث وهي تخفي بهجتها:

- هل تسمح بأن ارافقك لأتعلم؟

للوهلة الأولى فاجأه سؤالها. رفع كتفيه ثم ابتسم ليجيبها:

- لم لا؟ قد تتعلمين ما يفيدك.

اجابته وهي تهم بالانصراف:

- فعلاً.

كانت الأرملة قد استيقظت حين دخلت جودي. لم تكن الفتاة تحمل مرآة لكنها قدرت ان وجهها ليس بحالة افضل من وجه الارملة الذي بدا شاحباً وهزيلاً لقلة الطعام والراحة.

شعرت الفتاة ببعض الحنان تجاهها فانحنت قربها تساعدها على النهوض وسألتها:

- كيف تشعرين الآن؟

- انا الآن افضل بألف مرة من حالتي اثناء انتقالي محمولة على اكتاف العجوزين الخرفين. انهما لا يكفان عن محاولة ايقاعي وتعريضي للصدمات. يا لهما من غبيين.

قالت ذلك بتأفف وراحت تمسد مفاصلها المتألمة وكأنها تشير الى مقدار الضرر اللاحق بها.

وجدت الفتاة صعوبة في السكوت. ارادت ان تصرخ بوجه الارملة الانانية وتفهمها كم يشقى السيلانيان في سبيلها، فالعجوزان رسوامي وجايامان ضعيفان وبالكاد يقدران على حملها ومع ذلك لم ينبسا يوماً بكلمة تذمر او اعتراض. تساءلت جودي اذا كانت الأرملة تعرف ان لولاهما لبقيت مرمية عند حافة الوادي. مرت كل تلك الافكار في رأس جودي لكنها صمتت وساعدت الأرملة على الخروج من الخيمة.

كانت الحياة قد بدأت تضج في المخيم حين اجلست جودي الأرملة على بقعة عشب واسندت ظهرها الى صخرة كبيرة. شاهدت

الأولاد السمر الثلاثة يلعبون قرب البحيرة دون ان يجرؤوا على دخولها، حسب تعليمات بلايك ونديا العجوز. بدت هذه كالفزاعة وقد تسربلت بردائها الطويل وانحنت كعادتها تبحث عما يؤكل بين الاعشاب. اما العجوزان فانصرفا يرحبان بالصباح كل على طريقته.

بعد ذلك جلست جودي على جذع شجرة تستمتع بالدفء وتقوم بتسريح شعرها وهي تتأمل شخصيتي العجوزين المتناقضتين. كان جايامان سنهالياً، اي من سلالة السيلانيين الاصليين وكان يشعر بالألم والمهانة لكونه محاطاً بالتاميل يتكلمون لغتهم الخاصة التي لا يفهمها، مع ان السنهالية هي لغة البلاد الرسمية. كانت عمامته قطعة قماش لفت بعناية وربطت فوق جبينه من دون انتظام فيما برز شاربه منحدراً ومشذباً ولحيته رفيعة ملساء. بدا السنهالي عاقد الحاجبين باستمرار يرمي من حوله بنظرات ثاقبة ومرتابة.

اما رسوامي فبعكسه تماماً، تقرأ الطيبة والبساطة في ملامحه، وشعره الابيض وبشرته المتجعدة يجعلان منه مثال الجد الحنون الذي لا يؤذي احداً. كذلك كان ثرثاراً صاخباً لا يعرف شيئاً من آداب اللياقة ولا يملك حكمة زميله السنهالي ورجاحة فكره، لكنه بدا مرحاً مسلياً سريع الشتيمة ماهراً في اختيار عبارات القدح والذم.

كان قبل النوم يتلو فرائض الاحترام لكل اجداده، وهم نقلوا من الهند رقاً وعبيداً، ويستعين بذكراهم ليضمن خلو احلامه من الكوابيس والوحوش الاسطورية، لكن رسوامي كان كذلك نجاراً مدهشاً يعتبر الغابة مخزناً يؤمن له كل حاجاته من الخشب مجاناً. عوضاً عن التبغ راح يمضغ قشرة شجرة ذكية الرائحة وحادة المذاق، يعلكها ويبصقها قطعاً قطعاً مما اغاظ زميله السنهالي واثار اشمئزازه.

ولاحظت جودي بفضول تجاهل رسوامي للعداء الظاهر في معاملة السنهالي له.

حين عاد بلايك موريسون بعد ان قام باستكشاف اطراف الغابة، دنا من الأرملة بكياسة ليخاطبها متجاهلاً وجود الفتاة:

ـ مياه البحيرة ملوثة، لكن هناك بركاً صغيرة بين الصخور اذا شئت الاستحمام.

تجاهلت الأرملة ابتسامته المؤدبة لتجيبه بجفاء:

ـ اخيراً... فكرة جيدة.

نفضت الغبار عن ملابسها ثم تابعت:

ـ بامكانك حملي الى حافة البركة. جودي ستهتم بي في الماء.

ساعدتها الفتاة على النهوض ثم حملها بلايك بين ذراعيه. رفعها بسهولة وكأنه لم يمض عليه عدة ايام دون طعام يذكر. تبعته جودي نحو الاشجار بعد التقاط حقيبة يد الارملة.

سبقها بسرعة ففقدت اثرهما. اعتمدت على صوت جريان المياه لتعثر على البركة. كانت قد اقتربت حين شاهدت بلايك يخرج من بين الاشجار بعد ان ترك الارملة في فسحة صغيرة وراء الاشجار. همس في اذنها:

ـ لا تترددي في مناداتي عند اي طارىء!

قال ذلك مبتسماً بثقة ثم انصرف، فيما دخلت جودي بين الاشجار.

بدا المكان خلاباً، فالمجرى المائي تخترقه عدة صخور تشكل فيما بينها بركاً متفاوتة في العمق. حين انزلت جودي الارملة الى الماء شاهدت جسمها المشوه فكادت تشهق من هول الصدمة. شاهدتها

المرأة فابتسمت ساخرة لاضطرابها، وقالت:

- حدقي جيداً... قد لا تسنح لك فرصة اخرى!

تلعثمت جودي واشاحت بنظرها جانباً وهي تقول بخجل:

- آسفة!

اجابتها الارملة بتذمر:

- لا تضيعي الوقت بالاعتذار والتأسف. تعالي ساعديني على الوقوف.

امضت المرأتان وقتاً ممتعاً في الاستحمام بالمياه المنعشة فيما خرير المياه يضفي جواً موسيقياً خلاباً على المكان. بعد قليل غسلت جودي الثياب ووضعتها في الشمس لتجف.

حين خرجت المرأتان من الماء وارتدتا ملابسهما ذهبت جودي لتعلم بلايك وتطلب منه حمل الارملة الى المخيم. وجدته في حديث مع رسوامي تحت احدى الاشجار الوارفة. اقتربت منه بارتياح ظاهر واخبرته ان الارملة تنتظر من يحملها.

التفت ببطء عند سماع صوتها. شاهدته جودي يحدق بها صامتاً متأملاً شعرها المبتل وبشرتها المتوهجة ليفتر فمه مجدداً عن ابتسامة هازئة. عرفت انه يتذكر مشهد عناقها مع جيري فلم تكترث بل رفعت رأسها عالياً وكأنها تحاول اعلامه بأن رأيه بسلوكها لا يهمها بتاتاً.

شاهدته يبتعد ثم التفتت نحو الأولاد. رأت راجا وكيري يطاردان حرباء صفراء كبيرة وقد ارتفعت صيحاتهما حماساً واثارة. قدرت جودي ان الولدين صديقان منذ امد طويل، فهما كانا يتشاركان في كل انواع اللهو والمرح وفي حالة كهذه من الطبيعي ان

يشعر الولد الثالث، داتو، بالوحدة. لكن الصغير كما يبدو ظل يفضل البقاء وحيداً، حراً في استكشاف وفهم تلك الأمور التي تشكل الغازاً لعقله الناشىء. لاحظت ان الأولاد الثلاثة يحملون ميزات التاميل، كلونهم الداكن الوسيم وطبيعتهم اللطيفة، لكن داتو كان يتميز عنهم بذكاء متقد وحيوية لا تنضب ووعي متزايد لما حوله. كل ذلك اضافة الى ضحكته البريئة ونظراته الجادة جعل منه رجلاً صغيراً ومنحه شخصية فذة لا تقاوم.

ارادت جودي مد جسور الصداقة معه لكن منافساً قوياً كان يحتكر صداقة الصبي: بلايك موريسون. بدا الصبي معجباً بمزارع الشاي ينظر اليه باكبار ويتبعه اني سنحت الفرصة باخلاص مثالي. شاهدته يمشط الاعشاب بعصا صغيرة عثر عليها فاقتربت منه محاولة مد اولى الجسور قائلة:

- هل تريد رؤية ضفدعة كبيرة؟ (سألته مبتسمة وهي تشير الى البحيرة) انا رأيتها تقف على ورقة خضراء كبيرة.

سألها داتو باهتمام:

- أين؟ اريد رؤيتها!

صحبته جودي بسرور الى المكان واشارت بسبابتها الى حيث جلست ضفدعة عملاقة تتمشى بين الأوراق الخضراء. قالت له بحماس:

- اذا امسكنا بها نجعلها تسابق حرباء راجا وكيري. اظنها ستنتصر بسهولة!

لمعت عينا الصبي للفكرة. راحا يخططان للقبض على الضفدعة الغافلة التي انقذها تدخل غير متوقع، اذ نادى بلايك:

- داتو. داتو.

كان بلايك قد اوصل الارملة الى مكانها على العشب الطري وعاد ادراجه ليسأل داتو:

- هل تأتي للسباحة؟

نهض الولد بحماس وقد نسي كل شيء عن الضفدعة والفتاة في غمرة اندفاعه. كانت عيناه تشعان بعرفان الجميل حين اجاب وهو يهم بالعدو:

- نعم. نعم. انا قادم يا سيد موريسون!

- حسناً. هيا اقترب.

ناداه بلايك مجدداً وقد برزت ابتسامة عريضة على وجهه وهو ينظر باتجاه الفتاة التي شاهدت الصغير بحرقة يسابق الريح لينضم اليه. قهقه الرجل عالياً ثم رفع الصغير بذراعيه القويتين وحمله على كتفه.

نظرت جودي بخيبة اليهما يبتعدان وسارت ببطء نحو العجوز التي جلست ارضاً تملأ سلتها بقضبان قصب السكر الطازجة. حاولت صم اذنيها عن اصوات الضحكات العالية تأتي من البركة، لكن اسقط في يدها اخيراً وتمتمت بتذمر:

- يبدو ان هذين الاثنين يمضيان وقتاً ممتعاً!

كان وجه العجوز معبراً حين تكلمت وقد لمعت عيناها باعجاب كبير بالمزارع الأبيض.

- داتو يتيم والسيد موريسون تكفل بكل اقساط مدرسته في كولومبو.

يتيم! رددت الفتاة بوجل وقد شعرت بغصة غريبة في حلقها حين تذكرت نظرات الصبي المفعمة بالاعجاب الى بلايك موريسون. الآن، اكثر من ذي قبل، ارادت ان تصبح جزءاً من عالم داتو

الصغير.

تابعت الفتاة مراقبة العجوز واعجبت برشاقة انامليها المتجعدة تصلح السلة وتملأها بالفاكهة. كانت تحاول مساعدتها حين ترامى الى مسامعها صوت بلايك يناقش مع رسوامي امكانية اصطياد دجاجة ارض.

على الفور نهضت وسارت نحوه. كانت تنوي الزامه بالوعد الذي قطعه لها باصطحابها الى الصيد. تصورت منظره وقد خاب امله وعاد، برفقتها، خائباً. لن تفوت فرصة كهذه مهما كلف الأمر، فكرت وهي تحث خطاها. اقتربت لتواجهه وقد طلت وجهها بمسحة من البراءة. كان الرجل قد استحم بدوره وبدا في اكثر احواله نشاطاً وحيوية. ابتدرها وهي تقترب:

- آه، ها قد اتيت. تريدين مرافقتي الى الصيد.

نظر اليها باستخفاف وقد عاد الى ابتسامته الواثقة والأكيدة، ثم اردف:

- حسناً تعالي. ولكن ابقي متيقظة ولا تبتعدي عن رسوامي. وقبل كل شيء الزمي الصمت!

اجابته بعذوبة خادعة:

- آه لا تقلق، فلن تسمع لي حساً!

كان بريق النصر قد بدأ يلمع في عينيها.

اوكل بلايك الى جايامان مهمة حراسة المخيم. كانت الأرملة تغط بالنوم والعجوز تحاول جر حفيدها الى الماء للاغتسال، يتبعه راجا دوغا حماس. اما داتو فحاول اقناع رفيقيه بان الأمر جميل وليس فيه ما يزعج.

في هذا الوقت راح رسوامي ينصت وقد كور كفه وراء اذنه.

كانت البحيرة في هذا الوقت تضج باصوات الحيوانات وزعيق الطيور الجارحة، لكن العجوز ميز بوضوح صوت الطريدة المطلوبة. ابتسم سعيداً واشار لزميليه بان يتبعاه. سارت جودي وراء بلايك بين الاعشاب والشجيرات العالية.

كان حس العجوز مرهفاً الى حد كبير، فقد تمكن، رغم سنه، من سماع اصوات لم تلاحظها الفتاة وراح يتسلل بخفة وصمت. تبعه الآخران ولمدة عشر دقائق شهدت الغابة المحيطة بالبحيرة مطاردة صامتة وحذرة. فجأة سمعت جودي حفيفاً قوياً جمد الدم في عروقها. خرج طائر ضخم هلع من الأجمة الضخمة وراح يقاقي للحظات ثم هرول وارتفع باسطاً جناحيه ليختفي بين قمم الاشجار.

بعد ان تجاوزت جودي شعورها بالصدمة اقتفت بنظرها هروب الطير وتساءلت بمرح ماذا سيفعل بلايك موريسون الآن. كان الرجل قد ثابر خلال سيره على قطف الازهار مما دفع جودي الى ابداء استغرابها فقال:

ـ راقبي ما سأفعله الآن.

راح يسحق الزهور على يديه ثم قصد فسحة مجاورة نثر فيها بقاياها.

بعد ان انتهى حدقت فيه الفتاة بتعجب، ثم قالت وهي تبتسم:

ـ ما هذا؟ طريقة جديدة لاقناع الطريدة بالسقوط في شباكك؟

ـ لا، انها قديمة قدم سيلان.

قال ذلك وجذبها لتختبىء وراء الأجمة ثم اردف:

ـ راقبي الآن!

تأففت جودي متصنعة التذمر ثم عاودت النظر الى الفسحة.

لحقهما رسوامي بصمت واختبأ معهما وهو يبتسم بدهاء. قبعوا في اماكنهم ينتظرون في ما بدا لجودي انه انتظار ساعات. فكرت بالذهاب لكنها كانت تمني النفس برؤية غريمها يفشل فبقيت. اخيراً، وفي اللحظة التي استعدت جودي فيها للسخرية من بلايك، خرج الطائر الضخم بحذر من بين الاشجار محلقاً على مقربة من الأرض لدقائق طويلة ثم هبط وراح يأكل بقايا الزهور.

شاهدته جودي من دون ان يفتر حماسها. كل ما فعله بلايك انه قدم وجبة مجانية للطائر. لكنه لم يمسكه بعد!

اغمضت عينيها سعيدة بقرب انتصارها. راحت تفكر فيما ستقوله لبلايك شامتة ثم عاودت النظر الى الطائر لتفاجأ به يتصرف بغرابة. اذ شاهدته يسير مترنحاً وهو يلتقط نثور الازهار. سقط عدة مرات ونهض بصعوبة لكنه تابع التقاط الزهور بمنقاره. همس بلايك في اذنها قائلاً:

ـ زهرة النيلو تصيبه بالتسمم حين يكثر منها. بعد قليل سيصبح عاجزاً عن الحركة فيسقط بسهولة في قبضتنا!

بذهول شاهدت جودي العجوز يقترب ويمسك بالطائر دون مقاومة.

في طريق العودة احتارت جودي فيما تقوله. حاولت اخفاء خيبتها فسألت بلايك بصوت خافت:

ـ هذه الأزهار تكثر هنا. كيف تتفاداها بقية الطيور؟

اعترضها بلايك بصوته الواثق:

ـ هذه الزهور نادرة جداً. لا تنبت الا مرة كل سبع سنوات، ولا يتأثر بها الا هذا النوع من الطيور. انها عادة عديمة الرائحة لكن حين سحقتها جعلتها تبث عبيرها الخاص الذي اوقع الطائر في الشرك.

في طريق العودة بذلت الفتاة ارادة جبارة كي تكتم غيظها. ثم خطرت لها فكرة اعادت الفرح اليها. لا بد ان بلايك فقد ولاعته حين سقطت السيارة في الوادي، فكيف سيشعل النار ليطهو الطريدة الدسمة؟ سألته بتواضع مزيف:

- لا اريد افساد سعادتك، لكن ماذا ستفعل بشأن النار اللازمة لطهي ما اصطدته؟

تأملها بلايك قبل ان يجيب، وكأنه يقرأ كل واحدة من افكارها، ثم قال:

- تعالي!

اشار اليها بان تتبعه الى مجموعة من الشجيرات الصغيرة وقال لها وهو يكسر بعض الاغصان:

- اترين هذه؟ انها شجيرات **البوهينيا** البرية. والآن راقبي وتعلمي.

على فسحة ترابية راح يحك الاغصان اليابسة بعضها بالبعض. للوهلة الأولى لم ينتج شيء ثم شاهدت جودي سحابة من الدخان تلتها شعلة صغيرة. حاولت انكار تفوقه عليها فاخفت شعورها بالمفاجأة قائلة باستخفاف:

- هذه حيلة قديمة يعرفها السيلانيون الاصليون ولا بد انك تعلمتها منهم.

- انا نشأت مع قبيلة **الفيدها**.

اعلمها ببرود كأنه لم يكترث باستخفافها.

لم تعد الفتاة قادرة على التحمل. ادارت ظهرها بصمت واسرعت بالابتعاد والتلهي بصنع سلة جديدة لكن اضطرابها كان يظهر في حركة اناملها المترددة. الا ان ما ادهشها هو تحول اضطرابها تدريجياً

الى ارتياح وهي تراقب الطير السمين يشوى على نار موقد حجري صنعوه من لوحين صخريين. اضطرت للاقرار بان بلايك فعلاً يتفوق عليها في خبرته بالغابات وبانه الوحيد القادر على انقاذهم جميعاً.

تجمع المسافرون كلهم حول النار ينتظرون الطعام بفارغ الصبر. فبعد خمسة ايام من الجوع ومن خداع النفس ببعض الثمار والأعشاب، كانت رائحة اللحم المشوي اللذيذة تداعب نفس كل واحد منهم.

اهتمت ندبا العجوز بتقديم الطعام. استعملت الأوراق الخضراء العريضة كصحون لتقدم للجميع حصصاً متساوية وابقت بعض اللحم لتقديده والتزود به حين يتابعون السير.

بسرور استلقوا ارضاً بعد الطعام ليشاهدوا الشمس تختفي وراء الافق. كانوا قد حافظوا على خيمهم من ليلة البارحة فلم يضطروا للعمل الشاق في اعداد خيم جديدة. جلست جودي والارملة امام خيمتهما تصغيان لصوت الطيور تطلق صيحاتها محلقة فوق البحيرة. وراقبوا في البعيد طيور الفلامنكو ومالك الحزين تتحول ظلالاً على صفحة المساء الهابط رويداً.

بحلول الظلام شعرت جودي بالغابة تزحف عليهم وعلى البحيرة الصامتة وكأنها وحش رهيب. بدا لها ان كل احداث النهار جرت في كوكب آخر لا علاقة له بها الآن. كانت الاشجار العالية ترتفع مثل اصابع عملاقة تستعد للقبض عليهم وازهاق ارواحهم. تساءلت كم من الأميال لا تزال تفصل بينهم وبين المدنية.

نظرت اليها الأرملة وابتسمت بغرابة ثم قالت باستخفاف:

- لن ننجو ابداً. الا تعرفين ذلك؟

انتفضت جودي واجابتها بسخط:

- هذا كلام سخيف!

صمتت الأرملة للحظة ساد فيها السكون، كأنهما كانتا وحيدتين في الغابة ثم اجابتها:

- حقاً؟

سألتها هامسة واستلقت الى الوراء تحدق بالسماء الشاحبة. وتابعت بهدوء:

- هل تؤمنين بالقدر؟

اجابتها الفتاة وقد ازعجها الحديث:

- سؤال غريب يا سيدة ريدجواي!

قالت الأرملة وكأنها تمزح:

- فكري قليلاً. بلايك يسلك الطريق نفسه منذ سنين عديدة. انه يذهب عدة مرات في السنة الى كولومبو. أليس غريباً ان يختار الجسر هذه المرة لينهار؟

اجابت جودي معترضة:

- بتاتاً! كل شيء يضعف مع مرور الوقت، ولا بد ان الأمطار الموسمية الأخيرة احدثت فيه شروخاً كثيرة لغزارتها غير العادية.

بدا ان السيدة ريدجواي لم تسمع الجواب، فنظرها كان لا يزال مسمراً بالسماء القاتمة. لكنها تابعت الحديث:

- حين تزوجت (قالت مبتسمة بجهد ويبرود) كانت لدي خطط رائعة. كان زوجي وسيماً وذكياً وكانت امامه خيارات عدة للعمل في عدة مراكز. كان قادراً على دخول السلك الدبلوماسي او تمثيل اكبر البعثات التجارية. وماذا اختار السيد ريدجواي؟ الشاي!

تلفظت الأرملة بالكلمة الأخيرة وكأنها تردد اسم ألد اعدائها.

صمتت قليلاً مبتسمة باعياء ثم تابعت:

- وأتينا الى سيلان. وعوض ان اسكن في العاصمة، كزوجة سفير او دبلوماسي رفيع المستوى، حططنا الرحال في الريف لاحاول ادارة منزل لا يقصده زوجي الا حين يجوع ويضحي بمغادرة مكتبه المشرف على المرفأ حيث يقوم بالاشراف على شحن الشاي وتصديره. وماذا كانت مكافأته على عمله الدؤوب في خدمة الشاي؟ غرق! جرفته موجة عاتية عملاقة، هو ومكتبه وثمانية آلاف صندوق شاي من الصنف الممتاز!

قبل ان تحاول جودي التلفظ باي كلمة مؤاساة تابعت الأرملة سيرتها:

- طبعاً تحررت بوفاته. كنت دائماً اكره سيلان. بت قادرة على الابحار في اول سفينة مغادرة لكني لم افعل. بقيت في نفس المنزل اعيش الحياة نفسها.

نظرت الى الفتاة ثم تابعت:

- كأنني اردت تعذيب نفسي. ثم وقع حادث السيارة...

حبست جودي انفاسها متسائلة هل ستعترف لها بانها هي كانت خلف المقود حين حصل ذلك؟ لكن الأرملة تابعت:

- بعد ذلك فقط قررت ان الوقت حان للرحيل على ما يبدو (قالت وهي تتأمل السور الأخضر المحيط بهم) جاء قراري متأخراً!

بأسى راحت تحدق بالبحيرة لتكمل:

- اولاً كنت اسيرة زوجي وطريقة حياته. ثم اصبحت اسيرة طريقتي انا والآن اصبحت اسيرة هذه الغابة!

قالت ذلك وهي تجول بنظرها عبر الغابة الهائلة المحيطة بهما.

لم تجد الفتاة ما تقوله. نظرت اليها الأرملة ثم تابعت حديثها:

- الهندوس يعتقدون بوجود مخلوقة عجيبة هي رمز القدر المطلق. انها، كما يقولون، جميلة الوجه لديها ستة اذرع، تجتذب بها ضحاياها الذين يسقطون تحت تأثير فتنتها.

وحين تقبض عليهم لا تتركهم ابداً بل تسحقهم حتى الموت على صدرها. سيلان بالنسبة الي مثلها. اكرهها ولم اتمكن يوماً من الافلات منها. هذه الجزيرة تمسك بي في قبضتها واشعر انها لن تتركني ارحل.

- هذا كلام انهزامي ولن اصغي له!

قالت الفتاة بغضب ونهضت ناسية اصول التهذيب. حاولت قمع المخاوف التي ولدها كلام الأرملة في نفسها، فقالت بحزم وبصيغة قاطعة:

- انا اشعر اننا سنتجو قريباً. في الانتظار اقترح ان نخلد للنوم!

ابتسمت الأرملة دون اقتناع فيما ساعدتها جودي على دخول مخدعها.

فيما بعد، وقد اخلدت السيدة ريدجواي للنوم، خرجت جودي الى الليل وقد اضطربت نفسها واصابها الارق. اقتربت من ضفة البحيرة لتتأمل صفحتها حيث انعكست آلاف النجوم وارتفعت اصوات نقيق الضفادع وازيز الحشرات تسامر الليل الاستوائي.

كانت الصورة القاتمة التي رسمتها الأرملة قد اطبقت على صدر جودي وزعزعت معنوياتها. لكنها نظرت الى السماء المرصعة بالنجوم ورفضت ان تصدق ان مصيرهم يمت بصلة الى توقعات الأرملة المتشائمة.

في الطرف الآخر من المخيم رقصت شعلة حمراء بعيدة. تراءى

لجودي ظل بلايك جالساً قرب النار يقوم بالحراسة. للمرة الأولى منذ عرفته لم تشعر بالغضب او بالنفور لرؤيته، بل احست بوجوده يدخل بعض الطمأنينة الى قلبها المثقل بالهموم.

www.elromancia.com

٥ - لم تدر جودي لماذا اقشعر جسمها فجأة. كانت تعدو ملتفتة الى الخلف فلم تر العملاق الذي انتصب امامها. صدمته بقوة ثم حاولت يائسة التخلص من قبضته الجبارة. . .

تحركوا مع اولى خيوط الفجر تاركين الخيم الركيكة والرماد الابيض البارد وراءهم. حول البحيرة كانت الحياة تستيقظ ببطء وبين الاشجار شاهدت جودي طاووساً يعدو بين اوراق اللوطس من غير ان يكترث بهم. علق نظرها بنسر ابيض وحيد وقف على صخرة يراقب رحيلهم. لسبب ما، لعله حديث الأرملة القاتم، شعرت ان الفوائد القليلة التي جنوها من البحيرة هي آخر الايجابيات التي سينالونها في رحلتهم.

مع شروق الشمس ارتفعت الحرارة لكن الاغصان الوارفة شكلت سقفاً فوقهم حجب عنهم الاشعة الحارقة. كانت نديا ورفيقاها العجوزان الوحيدين الذين اعتمروا ما يغطي رؤوسهم.

تساءلت جودي عما كان مصيرهم لو اضطروا لسير كل تلك المسافات الطويلة في الشمس دون وقاية، لو لم تكن الغابة كثيفة ومكتظة بالاشجار الوارفة.

عند الظهر شعروا بوجود من يراقبهم خفية. لكن قلقهم انقلب ضحكاً حين فوجئوا بعشرات القرود تتأرجح بين الاشجار. بدت صغيرة الحجم بنية اللون يغطي الشعر الكثيف وجوهها المجعدة وملامحها المتحركة، تلتقط الثمار وتأكلها ببطء اثناء تجوالها.

كان بلايك يضطر لايقاف السير عدة مرات لمنح جايامان ورسوامي بعض الراحة. كذلك كان يوقف السير حين تصادف المجموعة نبع ماء في طريقها. بعد الظهر بلغوا جدولاً صغيراً توقفوا قربه ليشربوا ويستريحوا.

ارادت جودي متابعة السير دائماً لشعورها انها تقترب من النجاة حين تتقدم داخل الغابة القديمة. كما ان جمال الطبيعة راح احياناً يأخذ انفاسها. كان الصغار ايضاً يتأثرون به فيبدأون بالعدو والتسابق وقد اخذ منهم الحماس كل مأخذ، يخترقون الشجيرات بأوراقها الكبيرة ويقطفون زهور الدفلى العطرة.

حدقت جودي طويلاً باشجار القطن السيلانية وبزهراتها الشبيهة بالزنابق تغطيها وتغطي الارض تحتها ببساط قرمزي رائع. وقربها انتصبت شجرات اخرى زهت بكل الألوان. لكن ذروة ذلك النهار، اقله بالنسبة للصغار الثلاثة، كانت اكتشاف صخرة طويلة حفرتها الامطار عبر الاجيال لتصبح مثل قارب حجري. راحوا يقرعون الاحجار عليها فتطن كالجرس. تحلقوا حولها يضحكون فيما قرر بلايك قضاء بقية الليل في الفسحة المحيطة بها.

تنفست جودي الصعداء لسماعها بلايك يعطي اوامره بالتوقف.

كانت رجلاها ترتجفان تعباً وتساءلت كيف تتمكن نديا العجوز من السير الطويل الشاق من دون ان تنهار. بعد ان جلسوا وزعت عليهم السيلانية اللحم الذي جففته قبل ليلة. بدا مذاقه سيئاً لكنه منحهم شحنة جديدة من الفيتامين الحيوي.

كانت جودي اضعف من ان تقوم باعداد الخيم، لكن بلايك لحسن حظها طلب منها رعاية الأولاد فيما اهتم هو باعدادها.

ألقت ظهرها على جذع شجرة يابسة وراقبت الصغار يقرقعون محدثين اصواتاً قوية. ايقنت ان اي حيوان يسمع هذا الضجيج سيسرع بالهرب فاطمأنت وتركت التعب يتلاشى تدريجياً من اطرافها.

ثم نظرت باستغراب الى الصخرة الغريبة. كانت واثقة انها اقدم من كل الاشجار الموجودة قربها. تساءلت كيف وصلت الى هذا المكان وسط الغابة وحاولت ان تتصور المتحاربين في الماضي السحيق يتحلقون حولها لشحذ اسلحتهم.

تلك الليلة، وقد اخلدت الأرملة للنوم، خرجت جودي من مخدعها وقد منعها التعب من الاغفاء. لمحت في الظلام العجوزين وقد تكور كل منهما تحت شجرته. كان الصمت سائداً في مخدع العجوز نديا فقدرت ان الأولاد لم يجدوا اي صعوبة في النوم.

قررت رؤية القارب الحجري مجدداً، فتلك الصخرة العجيبة بدت مثيرة للاهتمام وقد ارتسم ظلها الطويل الداكن في الأفق الرمادي.

وقفت امام الحجر البارد وراحت تمرر انامِلها على حافته العميقة. هنا وقع نظرها على باقة من الزهر الملون ربطت بشريط من العشب ووضعت قرب قاعدة الصخرة.

لم تدر الفتاة لماذا اقشعر جسمها فجأة. كل ما تعرفه ان منظر تلك الباقة، وقد وضعت باحترام امام الصخرة وكأنها ضريح اضافة الى الصمت المطبق، اصاباها بالرعب. نظرت حولها وشعرت ان كل شجرة قربها تتحرك. ارادت ان تبتعد لكن ركبتيها لم تمتثلا لرغبتها ثم سمعت صوت غصن يكسر وكأن احداً وطأه بقدمه فانطلقت تركض نحو المخيم. كانت تعدو ملتفتة الى الخلف فلم تر العملاق الذي انتصب امامها. صدمته بقوة ثم حاولت يائسة التخلص من قبضته الجبارة. بقيت تنتفض رعباً كطائر جريح الى ان سمعته يتكلم:

ـ هدئي روعك. ماذا اصابك؟

كفت عن الصراع والقت رأسها على صدره تلهث مستعيدة انفاسها. ثم تكلمت بتلعثم:

ـ لقد اخفتني يا بلايك. لم ارك تقترب. انها الزهور. باقة زهور لم تكن موجودة قرب الصخرة حين اخلدنا للنوم. لا ادري لماذا ارتعبت الى هذا الحد!

قال بلايك مبتسماً:

ـ لا بد انه رسوامي العجوز. انه متطير جداً ولا بد انه وضع الزهور ليرضي وحوش الغابة ويضمن انها لن تهاجمه.

صمت قليلاً ثم تابع وقد تذكر ما دفعه للحاق بها:

ـ شاهدتك تخرجين من مخدعك وتبتعدين في الظلام. بالله عليك هل تطفئين عقلك قبل النوم كما يطفىء المرء المصباح الكهربائي؟ هل تعرفين ماذا ينتظرك من اخطار اثناء نزهتك الليلية هذه؟

اجابته بابتسامة متغطرسة. كانت سعيدة لأنه عاد الى وظيفته المعهودة كغريمها. فلو انه بقي صامتاً ينظر اليها بحنان لنسيت كل خلافاتها وغفت على صدره. شعرت ايضاً انه اكره نفسه على تأنيبها

كي لا يكشف عن ضعفه تجاهها، وانه يسمع نبضات قلبها تطرق بعنف دون ان يكون الخوف وحده وراء ذلك.

قالت ساخرة وهي ترتد عنه:

- كدت تسحقني على صدرك!

قال مبتسماً وهو يمسكها بيدها:

- تجالدي، قريباً تعودين الى من يطيب لك الانسحاق على صدره!

في اليوم التالي لم يسر شيء كما يجب. كانت البداية طيبة فقد نهضوا مع الصباح وساروا بنشاط وسط الطبيعة الجميلة. فيما راحت القرود تتأرجح فوقهم من شجرة لأخرى دون ان تكف عن الصراخ وكأنها تتحادث فيما بينها عن المخلوقات العجيبة التي تسير تحتها.

صباحاً بلغوا منطقة غنية بالزنابق التي بدا انها تنمو في كل مكان. كانت جميلة ومختلفة الأنواع لكن واحدة منها لفتت نظر جودي.

قال جايامان في احدى المرات النادرة التي تكلم فيها:

- هذه ملكة الزهور!

لم تكن الزهرة وحدها خلابة. فأوراقها المخملية السوداء المعرقة بالذهب والأحمر الفاتح بدت هي الأخرى قبلة للنظر.

لكن السنهالي الذي ابتسم سعيداً لملكة الزهور لم يدر انه سيصرخ متألماً بعد لحظات. فقد وطأت قدمه الحافية عنكبوتاً كبيراً عقره في باطن القدم. حين تجمع حوله الآخرون كان يصرخ ألماً وقد عجز عن الوقوف. تفحص بلايك الاصابة، لكنه عجز عن مداواتها من دون الترياق المناسب. وقفوا جميعاً يراقبون العجوز ينتفض وجعاً، شاعراً بسياخ الألم تمزق رجله كلها. لم يكن اي دواء بحوزتهم وخشيوا ان يخيموا في المكان نفسه بأعشابه التي تعج بالحشرات والزواحف. وهنا

اقترب رسوامي...

تمتم العجوز بكلمات غريبة وركع قرب زميله. اخرج من جيبه كتلة اعشاب ممضوغة وراح يحفها على مكان اللسعة المؤلمة. ثم، ببطء وثبات، مرر اصبعيه في خط مستقيم من اعلى الرجل الى الركبة فالقدم وباطنها. ثم ضغط على المكان المحيط بالجرح ليخرج منه بضع قطرات من الدم. هنا صمت جايامان وقد استراحت ملامحه. بعد لحظات نهض وسار وكأن شيئاً لم يحدث.

تابع بلايك ما يحصل ببعض الاهتمام اما جودي فقد ذهلت لما رأته. التقت نظراتها بنظراته واضطرت للاقرار بان للغابة اسراراً لا يعرفها الا ابناؤها الاصيلون.

لكن ما ازعج جودي هو عودة جايامان الى السير دون التوجه بكلمة شكر واحدة الى رسوامي الذي بدا غير مكترث. ثم تابعت المجموعة سيرها.

لكن حظهم بقي على حاله طيلة النهار. لم يعثروا على ما يؤكل او يشرب وناموا تلك الليلة والجوع والعطش رفيقا احلامهم.

اصبح السير في اليوم التالي فائق الصعوبة. فضعفهم، اضافة الى مشقات الطريق، جعل من كل خطوة مهمة شبه مستحيلة. كانت الأرض تتغير باستمرار بين التلال والوديان والمنحدرات الصخرية مليئة بالحفر والثقوب ومغطاة بالشجيرات البرية فيما برزت صخور عملاقة كالمنازل الصغيرة بين الاشجار القديمة اليابسة.

حوالى الظهر، والمجموعة تتابع سيرها الشاق، دوى صوت الرعد فجأة وابرقت السماء. اكفهر الجو بسرعة منذراً بهبوب العواصف.

- المطر! صرخ بلايك ونظر فيما حوله باحثاً عن ملجأ. كانت جودي

تعرف الأمطار الاستوائية وتعرف ان بللها يسبب الحمى. صرخ بلايك:

- هناك. الجميع الى ذلك الكهف!

دون تردد اندفعت جودي تحث الأولاد على السرعة فيما تبعتها المرأة العجوز. في هذا الوقت وضع الرجال المحمل ارضاً حيث فك بلايك رباط الارملة وحملها طالباً من العجوزين ان يسبقاه الى الكهف عبر الطريق الصعب والمحاط بالنباتات الشائكة. نجحوا في الاحتماء فيما هطلت اولى نقاط المطر ليتبعها سيل عارم غزير ورياح قوية باردة.

كان الكهف واسعاً بحجم غرفة كبيرة والارض مغطاة بالغبار وبالحصى. شاهدوا اثار قنفذ ونمس لكن المكان خلا من اي حيوان. اسرعت جودي باعداد بقعة مناسبة للارملة كنستها بغصن وارف ثم اقترب بلايك وانزلها بهدوء. جلسوا جميعاً بعد ذلك ينتظرون توقف المطر.

بعد نصف ساعة خمدت العاصفة واشرقت الشمس مجدداً، فمناخ البلاد الاستوائي معروف بامطاره المفاجئة تهطل في غير موسمها مخترقة شهوراً طويلة من الجفاف. انتظر بلايك توقف سقوط قطرات الماء من الاشجار الوارفة ثم اجال نظره في المجموعة البائسة التي تحلقت حوله خائرة القوى وتمتم:

- لن يتمكنوا من التحرك دون طعام. انا سأذهب للبحث عنه!

قال ذلك هامساً في اذن جودي التي وقفت قربه في مدخل الكهف. اضطرت الفتاة للموافقة فهي حدقت برفاقها سراً اثناء هطول المطر وتأملتهم واحداً واحداً... الارملة التي ابيض وجهها

واستلقت دون حراك، ندبا العجوز التي كانت تصارع التعب لتبقى جالسة والعجوزين اللذين استلقيا ارضاً كالقتيلين. اما الصغار فقد راحوا يرتجفون تعباً وانهاكاً وقد احتموا بالجدة العجوز دامعي الأعين. كان داتو قد تربع شابكاً اطرافه الهزيلة محاولاً نسيان جوعه وعطشه. قالت بعزيمة ظاهرة وهي ترى بلايك يخرج:

- سأذهب معك.

تركها ترافقه دون مناقشة. لعله عرف انها، رغم انهاكها، كانت الأكثر كفاءة بين المجموعة من بعده. رافق زعيق الببغاوات بأذياها الطويلة وصريخ القرود وقد عادت للتأرجح بين الأشجار كل خطوة يخطوانها. رغم جمال الطبيعة حولها شعرت الفتاة بمعنوياتها تتبخر. لم يجدا اي شيء يؤكل، وكل جمال العالم لا يسد جوعاً.

بدأ البحث في المنحدرات في جوار الكهف. راحا يتفحصان شقوقها وحفرها دون جدوى. كانا يسيران وسط الاغصان الملتفة كاذرع الاخطبوط حين شعرت الفتاة بالدوار وبطنين غريب في اذنيها. راح الصوت يكبر وغشت بصرها غمامة حمراء اعمتها وجعلتها تبحث عما تتمسك به. كادت تسقط لكن بلايك امسكها في اللحظة الأخيرة...

سألها بقلق:

- ما بك؟

- لا شيء. انا بخير.

اجابته وهي تصغي لصوتها وكأنه انطلق من بعيد. انتظرت حتى استعادت توازنها وانقشعت الغمامة عن نظرها. كانت تعلم انها تبدو له الآن شاحبة كالميت، فتابعت:

- مجرد عارض بسيط. وقد انتهى!

شعرت بالرجل يتفحصها بدقة. ساعدها على الجلوس ثم خاطبها باحترام، قائلاً:

- من الأفضل ان تستريحي هنا لوهلة.

اعترضت الفتاة غاضبة:

- لا، قلت لك انني بخير. هيا نتابع البحث!

كانت جودي لا تنوي ابداً تركه يعتبرها اقل منه صلابة وتحملاً للمشقات.

سار قربها مكفهر الوجه لكنه لم يحاول ثنيها عن قرارها. تابعا بحثهما المستميت عن طعام وفي مغارة بين الصخور توغل بلايك تاركاً الفتاة تنتظر خارجاً. عجزت عن الوقوف فجلست على جذع شجرة يابسة تنتظره، على ان تعود فتنهض قبل خروجه... لكنه خرج باسرع مما توقعت فبقيت جالسة.

رأت بلايك يحمل شيئاً غامضاً في يده. كان رمادياً ومستديراً مثل قبعة بالية. اقترب منها وهو يبتسم، وان بصعوبة قائلاً:

- لحسن حظنا ان طيور الخطاف كانت هنا وبنت عشها في الجدار.

جلس قربها وهي تتأمل ما بيده.

سألته جودي باستغراب:

- ولكن ما هذا؟

اجابها مبتسماً:

- انه عش طائر الخطاف وهو صالح للأكل. الصينيون يأكلونه ونحن سنقلدهم!

سألته برعب:

- نأكله؟ مستحيل!

- بلى. ستأكلينه مثلي!

قال ذلك وقضم جزءاً من العش باسنانه ثم قدمه لها وطلب منها ان تقلده.

اشمأزت للفكرة لكنها كانت اضعف من ان تقاومه. رفعت العش الى فمها ببطء. شعرت به لزجاً وشبيهاً بالجيلاتين لكن مذاقه لم يكن سيئاً فالتهمت حصتها من دون صعوبة.

جلست تستريح بعد ان اكلت. اقرت بان الأمر يستحق العناء فقد شعرت بالحياة تعود الى اطرافها شيئاً فشيئاً. بعد دقائق احست انها قادرة على السير. كان بلايك قد سبقها الى النهوض فابتدرها سائلاً:

- اتشعرين بالتحسن؟

لمحت بعض الشفقة في عينيه الخضراوين. شيء في نظراته هزها واشعرها بالاضطراب. ابتسمت لتجيبه بتوتر:

- افضل بكثير. شكراً لك.

- رائع.

ساعدها على النهوض قبل ان يتابع:

- اذن هيا بنا.

تابعا السير على الدرب المكسوة بالعشب البري. كانت جودي تتقدمه حين وصلت الى صخرة كبيرة ناتئة في سفح مرتفع صغير. خرجت الحشرات بعد المطر تملأ الجو طنيناً لكن صوتاً مميزاً لفت نظر الفتاة.

اقتربت بحذر لترى، في الجانب الخلفي من الصخرة عدداً من قفران النحل. صرخت بحماس:

- بلايك! (نادته وهي تضحك سعيدة) انظر ماذا وجدت!

اقترب الرجل بسرعة فاشارت الى داخل الصخرة وقد شع بريق

الظفر في عينيها قائلة:

- عسل. انه بالضبط ما يحتاجه داتو الصغير!

- مهلاً يا جودي. مهلاً!

اوقفها كلامه الصارم في مكانها. نظرت اليه فشاهدته يحث الخطى نحوها ليجذبها من يدها بعنف ويدفعها الى الخلف محدقاً بقلق بالقفران المعلقة. دفعها الى الخلف بقوة وقال غاضباً:

- ما هكذا يقترب انسان عاقل من البامبارا - غال.

- اعلم انني قد انال بعض اللسعات لكن العسل غذاء مقو وسيحتاجه رفاقنا المنهكون!

قالت ذلك تبرر اندفاعها.

- نحل البامبارا قاتل اذا ازعج. لنبتعد طالما لا زلت بخير!

قال ذلك وجذبها من ذراعها بعنف فلم تمانع. لكنها حدقت مذهولة بملامحه المتحجرة ونظرت الى كنزها الضائع دامعة العينين. سارا قليلاً ثم ابتسم لها محاولاً مؤاساتها وقائلاً بلطف:

- العسل فعلاً. مغذ. فلنفتح اعيننا جيداً، علنا نجد قفيراً لن يكلفنا عسله حياتنا!

سارت جودي حزينة. كانت واثقة ان الفرصة لن تسنح لهم مرة اخرى. لكن بعد بضع دقائق من البحث توقف بلايك فجأة قرب شجرة وهمس في اذنها بأنه وجد العسل.

لم تر الفتاة الا حفرة داكنة في جذع شجرة غطى الصمغ معظمها تاركاً فقط الثقب الصغير. اصغى بلايك باهتمام ثم ابتسم باعتداد قائلاً:

- لنر الآن!

وضع فمه على الثقب وراح ينفخ فيه. ارتعبت الفتاة لسماعها

طنين النحل يبدأ ويتزايد. ارادت ان تبعده لكنه ثابر على النفخ. كانت تعلم ان النحل سيلسعه ما ان تسنح له الفرصة فاضطرت للاعتراف بان شجاعته حقاً نادرة. لكن الطنين تلاشى بعد دقائق وكأن النحل خلد للنوم متأثراً بنفس بلايك الحار.

بعد ذلك نزع بلايك الغشاء الصمغي عن الحفرة واستل خنجره ببرود ليقتطع الشهد ويضعه في يدي جودي الممدودتين بحماس. اخرج قطعاً كبيرة من الشهد الحلو المذاق ثم اعاد تغطية الفتحة تاركاً النحل يبدأ عمله مرة اخرى. في طريق العودة تابع الحظ الابتسام لهما فعثرا على بعض البطاطس البرية وثماراً حادة الطعم تشبه التفاح.

بعث الطعام الحياة في الجماعة المنهكة. عاد الأولاد الى اللهو قرب مدخل الكهف وغرق العجوزان جايامان ورسوامي كل في تأملاته. اخرج بلايك الارملة لتنعم بالهواء الطلق واجلسها الى صخرة ناعمة. كان الوقت عصراً فقرر عدم متابعة السير وامضاء الليل في الكهف. قامت جودي وندیا بجمع مياه الامطار وتخزينها في اوراق مكورة كي يشرب كل فرد منهم قبل الاخلاد للنوم.

وجدت جودي المبيت في الكهف غريباً. لم يكن السبب صلابة الأرض فجودي اعتادت النوم على اليابسة لكن ما ازعجها هو وجود بلايك قيد اقدام منها نائماً في مواجهة المدخل.

حاولت جاهدة الاستلقاء في وضع مريح لكن اضطرابها ازداد ومنعها من النوم. اصغت لقلبها يطرق بعنف فيما كان الكل حولها ينعمون بالنوم. يئست من محاولاتها العديدة فنهضت مقررة الخروج.

كان المكان مظلماً لكن الضوء المتسلل عبر الفتحة جعلها تلمح الأرملة المستلقية قربها. شعرت بصدمة حين لاحظت ان الأرملة كانت مستيقظة تحدق بها بنظرة ساخرة ولمحت ما يشبه ابتسامة

متعجرفة على شفتيها الشاحبتين.

خرجت جودي وقد ساد الاحمرار وجنتيها. تساءلت هل كانت الأرملة تراقبها دائماً حين تخرج وقد منعها وجود بلايك من النوم؟ سارت بتسكع تحت شجرة مجاورة تحاول استعادة هدوئها. فلتظن السيدة ريدجواي ما تشاء، فكرت جودي باستخفاف، فذلك لن يضيرها في شيء.

كان الليل حولها يضج بالحياة واصوات الحيوانات وصراخها، من زئير بعيد الى زعيق طيور الليل وخفقان اجنحتها الى وقع قوائم القوارض تجري فوق الصخور، يملأ قلبها رهبة واضطراباً فالغابة في الليل كائن حي قائم بذاته.

نظرت الى الاعشاب في اسفل المنحدر الذي يقود الى المغارة. شاهدت بعض الفطر الفوسفوري يلمع بينها مشكلاً بساطاً من نور اخضر اضفى على المكان جمالاً لا يصدق.

كانت تسرح في تأملاتها حين سمعت وقع اقدام وراءها. انه بلايك، فكرت وهي تستعد لمواجهة انتقاداته اللاذعة لخروجها من الكهف ليلاً. قررت استباقه بالكلام فما كاد يقترب حتى بادرته قائلة:

- انظر! هل رأيت يوماً ما هو اجمل؟

كان وجهه يلمع بالوهج الأخضر المنعكس عليه. رأته يبتسم قليلاً وهو يقف قربها لينظر الى ما حولها بصمت. ثم استعاد مظهره الحازم ليخاطبها بصوته الرزين:

- لن تفكري بذلك حين تضطرين للسير الشاق غداً صباحاً. تعالي!

امسك بيدها بلطف وسارا عائدين الى الكهف. احست بشعور

غريب، برابط قوي من الصداقة يجمع بينهما. هدأ خفقان قلبها وعرفت وهي تدخل انها ستنام ملء جفنيها.

www.elromancia.com

٦ - تمسكت به كغريق يكاد يبتلعه البحر. لكنها تذكرت نظراته الملأى بالاحتقار وقدرت انها لا تعدو كونها فتاة سهلة بالنسبة اليه. ودفعها جرحها المكبوت الى . . . الهرب.

في اليوم التالي كان الانطلاق غاية في الصعوبة، فالشمس الحارة راحت تبخر المياه من الاشجار المبتلة فتحول الطريق عبر الغابة الى حمام بخار مستمر. توقفت جودي عن مسح عرقها المتصبب فتركته يسقط على صدغها وعنقها.

شقوا طريقهم بصعوبة عبر الاعشاب العالية التي عانقت الاشجار والتفت حولها. كانت النباتات المتشابكة فوقهم مغطاة بطبقة رمادية من الألياف والطفيليات. بينما انتصبت عيدان عالية من القصب الصلب تعترض طريقهم وتزيد من صعوبتها، وان كانت تخترقها احياناً نباتات جميلة مزهرة.

عند الظهيرة كانت المجموعة تجتاز وادياً سحيقاً حين اوقفتها

حادثة مخيفة. في البدء بدا الدرب لجودي عادياً وقد غطته اوراق الشجر بكثرة. كذلك سار الأولاد باطمئنان يتابعون لهوهم واحاديثهم لكن راجا اطلق فجأة صرخة رعب مدوية. . .

على الفور هبت جودي بالاسراع الى جانبه في حين صرخ الولدان الأخران كل بدوره. لم تسنح لها الفرصة للتساؤل عما اصابهم، فقد شعرت في اللحظة عينها بشيء يلتصق باسفل رجلها، في الجزء المكشوف منها بين الحذاء وحاشية السروال. اجبرها الهلع على التوقف. انحنت ونظرت لتجد جسماً لزجاً غريباً مقرفاً يلتف حول كاحلها. اطلقت صرخة اشمئزاز وقد طار صوابها وكادت تفقد وعيها. شاهدت بلايك بسرعة عجيبة يضع محمل السيدة ريدجواي ارضاً ويعدو نحوها بخطوات عريضة. سألها بقلق عما اصابهم فأشارت الى قدمها وقد اصابها الغثيان.

انحنى ونظر الى كاحلها ليخبرها برتابة:

ـ انها علقة، دودة تلتصق بالجلد وتمتص الدم عبره!

قالت له باضطراب:

ـ انزعها ارجوك! انزعها!

اجابها محاولاً تهدئتها:

ـ لا، اذا نزعتها عنوة ستترك اسنانها في جلدك وعندها ستصابين بالتسمم. انتظري!ـ كادت جودي تنهار وهي تشاهد الدودة تنتفخ وتتمدد على قدمها، ثم تتكور وتسقط. هزتها القشعريرة وزعزعت قواها فدفنت رأسها في كتف بلايك تنتحب بصمت.

ـ انتهى كل شيء. انسي ما حصل!

لم يكن قادراً على الاهتمام بها اكثر. فقد سمع الجميع حوله يصرخون وينتفضون قرفاً واشمئزازاً. كان جايامان يحمل علقتين

التصقتا بباطن ساقه، اما نديا ورسوامي فحاولا جاهدين تفادي جيش الديدان المحيط بهما. حتى الأرملة الجالسة في محملها الخشبي ارضاً لم تنج من التجربة المريرة، فقد نظرت بقرف الى الديدان تحيط بها محاولة العثور على ممر تسلكه لبلوغها.

بسرعة ربط بلايك ألياقاً طويلة حول كاحليه وكاحلي جودي كي يغطيها ثم جرفا معاً الديدان المحيطة بالأرملة باغصان كبيرة متشابكة واسرعا للاهتمام بالأولاد. كان كل من الصغار حافي القدمين كاشف الصدر فلم يكن من الممكن منع العلقات من الالتصاق بهم.

لكن رسوامي، بخبرته العريقة بالحياة في الادغال، وجد الحل. كانت العلقات قد التصقت برجليه لكنه تسلق الاشجار المجاورة وهبط منها بعد قليل حاملاً حفنة ثمار خضراء شبيهة بالليمون، تنبت بكثرة في الغابة من دون ان تصلح للطعام. شاهدوه يقطع كل ثمرة بخنجره الى قطع صغيرة ويشك في كل منها عوداً خشبياً صغيراً ثم يمررها على العلقة فتسقط ميتة وقد ايبس عصير تلك الثمار جلدها. وهكذا خلال دقائق معدودة كانت الجماعة تتابع سيرها لتخرج من الوادي سعيدة بانتهاء ذلك الكابوس.

بعد الظهر لاحظوا بقلق تزايد آثار مرور الحيوانات. كانت المسالك المحفورة عبر الحشائش تشير الى وجود حيوان الغرير القصير القوائم، اضافة الى آكل النمل وابن آوى. لكن ما ارعبهم جميعاً هو اعلان بلايك عن وجود آثار قطيع من الأفيال البرية.

ثم واجهتهم مشكلة اخرى، فقد اصبحت الأرض مغطاة بالنباتات الشائكة التي يصعب السير عليها. كما ان بعض اشواكها، وهي المسماة مسامير الغابة، كانت حادة وقاطعة كالنصال. الى ذلك كله اعترضت سيرهم نبتة الكودوميريس المتسلقة التي راحت

تلتف بشدة على اقدامهم وفي كل مرة يحاولون الافلات منها تصيبهم اشواكها الحادة بجروح. كان هذا العائق الأخير اقوى العوائق فاضطرهم للتوقف.

تشاور بلايك مع العجوزين فيما يجب عمله. بدا اجتياز الغابات التي تعترضهم مهمة مستحيلة، لكن طريقهم الى النجاة كانت تمر عبرها. ايقنوا ان الحل الوحيد لديهم هو سلوك الممر الذي شقته الافيال، وان كان ينحرف عن خط سيرهم بشكل ظاهر.

بعد مناقشات طويلة قرروا سلوك هذا الطريق. وجدوا انه من الأفضل لهم المجازفة بسلوك مسار قد يتيههم على ان يحاولوا اختراق ادغال كثيفة اشبه بجدران من الصلب.

ساروا بقلق عبر درب الافيال. كان الطريق يمر عبر اعشاب كثيفة متشابكة وقد غطت عيدان القصب السميكة جانبيه. سارت جودي قلقة الى جانب نديا والأولاد، فالآثار كانت تشير الى ان الأفيال تسلك الاتجاه المعاكس لخط سيرهم، اي انهم معرضون في اية لحظة لمواجهة فيل او عدة افيال يعدون نحوهم كشاحنات ضخمة افلتت مكابحها. شعرت نديا العجوز هي ايضاً بالخوف فراحت تتجنب ذكر الأفيال بالأسم مخافة ان تسمعها وتغضب واكتفت بالاشارة اليها بعبارة «العمالقة الأجلاء». لم تشأ جودي اثارة مخاوفها ففعلت الشيء نفسه.

حين توقفوا لاستراحة قصيرة بعد الظهر كان القلق قد اخذ منهم كل مأخذ وراح كل فرد منهم يوغل نظره باضطراب الى عمق الطريق الممتد امامهم، منتظراً ظهور فيل ضخم ينقض عليهم ليسحقهم في كل لحظة.

تابعوا السير بعد دقائق. مرت عدة ساعات قبل ان يصلوا فجأة،

الى فسحة كبيرة في الغابة خلت من الاشجار والنباتات العالية. ما كادت جودي تنظر الى السماء الزرقاء فوقها متنفسة الصعداء حتى جذبها بلايك الى الخلف عنوة. وقبل ان يقول شيئاً علمت سبب تصرفه، ففي الطرف الأخر من الفسحة الكبيرة كان قطيع افيال يرعى بهدوء.

باشارة من بلايك، اسرعت جودي تعيد الأولاد الى ما بين الاشجار الكثيفة. كانت حزينة لاضطرارها لمغادرة ذلك المكان الفسيح لكنها تعزت بكون الأفيال الضخمة لم تشعر بوجودهم.

تابعوا تقدمهم عبر الجحيم الأخضر محاولين في كل خطوة تفادي وخز الأشواك الحادة. كان سيرهم مضنياً لكن طبيعة الطريق تغيرت بعد فترة قصيرة، فقد اصبح السير اسهل اذ انعدمت الأشواك المؤلمة وراحوا يطأون نباتات طرية وقليلة العلو.

كانت الشمس لا تزال في كبد السماء حين بلغوا فسحة اخرى شبيهة بالأولى لكن اقل اتساعاً وخالية، لحسن حظهم، من الأفيال المرعبة. وحين اعلن بلايك قراره بنصب خيمهم لقضاء الليل في المكان اطلقت جودي والأولاد صيحات الفرح.

انزل الرجال محمل السيدة ريدجواي ارضاً واجلسوها في ظل شجرة وارفة. جلست جودي قربها فيما تناول الجميع ما بقي من عسل وثمار من البارحة. بعد الطعام انصرفت نديا كعادتها الى البحث عما يؤكل بين الاعشاب المجاورة فيما اعد كل من العجوزين فسحة خاصة به للنوم.

تسكعت جودي والأولاد بفرح وهي تشاهد معهم قبيلة من القرود اقامت مسكنها في قمة شجرة مجاورة. كان منظرها مضحكاً وهي تتقاتل فيما بينها وتملأ فمها بالطعام ثم تأخذ في القفز من شجرة

الى اخرى. ضحك الجميع ملء اشداقهم وهم يشاهدون الاناث ينتقلن من غصن لآخر وقد حملت كل منهم صغيرها الى عنقها.

انضم بلايك اليهم وقد سمع قهقهاتهم العالية لكن شيئاً في مظهره اثار القبيلة كلها فاطلقت القرود جميعها صيحات الاستنكار والتحدي وراحت، من مكانها الأمن بين الاغصان، ترجمه بكل ما طالته يداها.

حمى بلايك وجهه بكفيه فيما ارتفعت ضحكات الصغار عالياً وهم يشاهدونه يتقهقر امام هجوم القرود. حاولت جودي الحفاظ على مظهرها الجدي لكنها عجزت واستسلمت لعاصفة من الضحك طغت على قهقهات الصغار. بدا بلايك غاضباً في البداية لكنه سرعان ما نسي غضبه مبتسماً اولاً، ثم ضاحكاً هو الآخر وكأنه اراح نفسه المثقلة من هموم ذلك النهار الشاق.

حين شاهدته جودي يضحك انتفض قلبها وتذكرت كل حوادث النهار وبالأخص حين احتضن صدره الواسع وجهها المذعور ولامست وجنتها قميصه الكاكي. حاولت رفع نظرها عنه لكنها عجزت. وحين اتسعت دائرة الرمي وراح القرود يرجمونها هي الأخرى حماها بلايك سافراً وجهه ودفعها ضاحكاً خارج مرماها.

بعيداً عن الصغار وضحكاتهم العالية جلس الاثنان ارضاً ليزيلا ما علق بشعرهم وثيابهم من قشور واعشاب. من مكانها تحت الشجرة، راقبت الأرملة ما يجري مبتسمة بطريقتها الغامضة.

بقيت صورة بلايك ضاحكاً مرتسمة في مخيلة الفتاة. وحين هبط الليل واخلدوا للنوم عجزت عن الاغفاء ولو للحظة. استغنوا عن اقامة اي خيم تلك الليلة وناموا وهم يحدقون بالنجوم. بقيت الأرملة هي الاخرى مستيقظة لكن جودي تجاهلتها ونهضت مبتعدة بهدوء.

من مكانها شاهدت بلايك يرتسم كظل داكن على صفحة السماء المتوهجة وقد اسند ظهره الى صخرة كبيرة...

لم تكن قررت بعد موافاته حين سمعت صوتاً عالياً دفعها للركض باتجاهه. بلمح البصر وقف مستعداً حين سمعها تركض. هدأت حين امسك بذراعها ثم انصت في الظلام للصوت الذي ارعبها. ابتسم وقال لها:

- لا تقلقي. انها افيال بعيدة جداً عنا.

لم تدر جودي كيف جلست قربه لتتكىء على الصخرة. كانت تشعر بالاضطراب دون ان تعرف اهو بسبب الصوت المرعب الذي سمعته ام لكون بلايك امسك بذراعها!

من مكانهما شاهدا رفاقهما في الرحلة يغطون في النوم. لكن جودي سرعان ما احاطت ركبتيها بذراعيها ورفعت رأسها متأملة آلاف النجوم فوقها. ترددت صرخة الأفيال مرة اخرى وسمعت جودي في البعيد صوت تجوالها المستمر. لكنها الآن لم تشعر بالخوف. قالت لبلايك وهي تتذكر حالة:

- كان والدي يتكلم دائماً عن اسطورة الوادي المفقود. هل تصدقها انت؟

- حيث تذهب الأفيال لتموت؟

سألها باهتمام، ثم تابع:

- انها نظرية جديرة بالاهتمام.

- ألم ير احدهم ابداً ذلك المكان؟

ابتسم بلايك وهز رأسه ليقول:

- أظن انها اسطورة نمت مع الأيام.

صمت قليلاً ليتابع بمرح:

- في حضارتنا اساطير كثيرة من هذا النوع. التنين الذي ينفث النار ويعيش مسجوناً تحت قلعة كبيرة. الممرات السرية في القصور القديمة.

نظر اليها بما يشبه الأسف ليقول هازئاً:

- سيلان ليست البلد الوحيد الذي نال منه الرومانسيون!

استرخت جودي وقد لامس كتفه منكبها لتصغي اليه يقص عليها بالتفصيل اسطورة وادي نيلغريس في الهند الذي لا يرجع من يدخله، ووادي غاناكوس الغامض في اميركا الجنوبية.

اصغت الفتاة اليه باهتمام ثم راح النعاس يغلبها تدريجياً. حين فرغ من الكلام حاولت اطلاق المحادثة مجدداً فسألته:

- اي انك لا تؤمن بوجود كهف غامض في الوادي المفقود تقصده الأفيال للموت؟

قالت ذلك ثم تابعت بحزم:

- حسناً. انا اؤمن بذلك. لقد سمعت من يقول ان الأفيال تتدبر الأمر كي لا يموت احدها في مكان لا يليق به، يقولون ايضاً ان الوادي المذكور يقع قرب انورا دابورا، لكن احداً لا يعرف موقعه الجغرافي بالضبط.

ابتسم بلايك غير مقتنع لكنها تابعت:

- لا بد ان في الأمر بعض الحقيقة. اعني لماذا لا نعثر ابداً على هيكل عظمي لفيل؟ هذه حيوانات ضخمة العظام فكيف تختفي بعد الوفاة؟

هز بلايك كتفيه بكسل. حدق بعينيها الرماديتين ثم خاطبها قائلاً:

- السنهاليون يقولون ان احداً لا يمكن ان يرى قرداً ميتاً.

هزأت جودي بكلامه قائلة:

- هذه حجة واهية. اولاً هناك الفرق الهائل في الحجم. ثم...

كانت تنوي متابعة الكلام لكن شيئاً ما اوقفها وهي تهمس خشية ان يوقظ نقاشهما الآخرين وقد انحنت قرب صدره، اذ لاحظت فجأة كم هي قريبة منه ولمحت بريق عينيه فوقها وشاهدت ابتسامة تتكون على شفتيه. شيء في نظرته طغى عليها واضعفها فعجزت عن متابعة الكلام.

شعرت بانفاسه الحارة على خدها فيما احست باصابعه تستكشف كتفها وتمر على جلدها. فجأة نهض بسرعة ورفعها لتقف الى جانبه. قال بخشونة:

- سنتابع الحديث مرة اخرى. من الأفضل لنا الآن ان نخلد للنوم.

رافقها الى فراشها الأخضر ثم ابتعد في الظلام بصمت. شعرت جودي انها قد حرمت من حق ما ولم تنم تلك الليلة الا بتقطع.

بدا واضحاً في صباح اليوم التالي انهم يقتربون من الغابات المنخفضة حيث النباتات عملاقة الحجم وقد احاطت بها المعريشات من كل جانب. كانت تلك النباتات المتسلقة تبلغ قمم الاشجار لتعود وتنهمر الى الاسفل وراحت بعض الأشجار تنوء بما تحمله من المتسلقات التي غطت الأرض بأشكالها المعوجة واللولبية.

سارت جودي وسط هذه الطبيعة البدائية وهي تشعر بان منظر تلك الألياف والأعشاب المتوحشة يناسب ولا ريب مظهرهم المنهك والمعذب.

كانوا في يومهم العاشر من السير الشاق، حسب عدد الخدوش

التي حفرتها على مشطها، وقد بدأ اثر العذاب المتواصل يظهر في اجسادهم والعجوزان يحدودبان اكثر فأكثر وهما ينوءان بمحمل السيدة ريدجواي. اما الصغار فقد هزلت اجسادهم واعتراها النحول وساروا يجرون انفسهم جراً. بدا داتو اكثرهم تأثراً وكانت جودي تشعر بقلبها ينفطر شفقة حين تصيبه نظراتها.

حاولت نديا العجوز اخفاء اعيائها تحت ملامحها المتحجرة لكن احمرار عينيها كان يكشف احياناً مقدار انهاكها. حتى السيدة ريدجواي التي تبذل اقل جهد بين كل افراد المجموعة بدت كطيف لما كانت عليه في الماضي وقد استسلمت لقدرها وكفت منذ مدة عن القاء الملاحظات الجارحة متقبلة بصمت كل الهزات والصدمات التي تصيبها. وقع واجب رفع مقدمة المحمل على بلايك، اقوى افراد المجموعة واصلبهم. كانت ملامحه هزيلة شاحبة وقد حفرها التعب وقدرت جودي ان مظهرها هي الأخرى مثير للشفقة، فثيابها ممزقة في عدة اماكن ووجهها اعتراه الشحوب والعياء. كانت واثقة انها قد فقدت الكثير من وزنها، كما انها لم تكن تجهل ابداً خطورة وضعهم المتفاقمة. لقد اضطرتهم الغابات المنيعة للانحراف عن خط سيرهم والله وحده يعرف اذا كان مسارهم الجديد سيقودهم الى النجاة ام الى التهلكة. الطعام والماء اصبحا معضلتهم الدائمة وذلك النهار انقضى دون ان يعثروا على اي من الاثنين.

حين عاودوا سيرهم في الصباح التالي عجبت جودي من قدرتهم على الوقوف. تمنت بحرقة ان يعثروا على اي شيء يؤكل. كادت دموعها تنهار وهي تتصور جثثهم الجافة تصبح طعاماً للكواسر. امسكت بداتو من يده كي لا يتخلف عنهم وتمنت لو انها تشعر ببعض القوة في قبضته النحيلة.

كانوا قد توقفوا للاستراحة في فسحة صغيرة مظللة حين راحت جودي تبحث برفقة داتو عن طعام وسط الحشائش المتشابكة. فجأة، وسط الاعشاب شاهدت جودي ما جعلها تصرخ من الفرح.

- انظر يا داتو برتقال! برتقال!

فيما هي تضحك، قطفت واحدة وراحت تنزع قشرتها امام داتو السعيد الذي تسمر نظره الزائغ بالثمرة الجميلة. لكن ما حدث بعد ذلك كان ابعد ما يكون عن الضحك. فقد سمعت جودي صرخة بلايك ثم، دون ان تفهم ما يجري، رأته يقفز ويرمي الثمرة بعيداً بضربة واحدة وهي تهم بتذوقها فأصابتها الصفعة ملء وجنتها. لوهلة اغرورقت عيناها بالدمع ثم نظرت غير مصدقة اليه.

كان الغضب يتطاير من عينيه. امسك بالثمار المغرية وصرخ بها:

- اتعرفين ما هذه؟ انها برتقالات الموت، او غودا-كودورا. ما فيها من سم زعاف يقتلك فور ملامستها لشفتيك! ان سم الستريشنين الزعاف يستخرج منها!

تمنت جودي لو ان الأرض تنشق وتبتلعها. لقد ارتكبت خطأ قاتلاً وهي تظن انها تحقق مأثرة مجيدة. شعرت بالدموع تتجمع في مآقيها وهي تحدق بصمت بالثمار القاتلة. كان داتو ينظر اليها بحنان فساعدتها نظرته المؤاسية وان لم تخفف من الألم الشديد في وجهها. رأت بلايك يستعد مجدداً لتعنيفها لكنه تكلم بصوته الرزين قائلاً:

- فلنتابع السير.

تحرك الموكب مجدداً. بقي الجميع صامتين لوهلة كانت جودي خلالها تسترق النظر الى بلايك والأرملة. بدا الرجل مقطب الوجه عابساً اما الأرملة فشع بريق ساخر في شبه ابتسامتها اللاذعة.

تابعت الجماعة سيرها، متوقفة منتصف كل ساعة لالتقاط

انفاسها. لم يبتسم الحظ لهم الا بعد الظهر حين عثرت نديا العجوز على نوع من الحمضيات التهموا ما بداخله وابقوا القشرة الكثيفة كونها تصلح كوعاء للسوائل. لكن الماء، اهم تلك السوائل، ظل كنزاً ضائعاً يجب العثور عليه.

وفيما الليل بدأ يهبط عثروا على حفرة تجمعت فيها المياه. لكن فرحتهم سرعان ما تلاشت حين اكتشفوا انها موحلة بشكل لا يمكن معه شربها.

كانت مفاجأة لهم جميعاً حين وجد جايامان حلاً للمشكلة، فقد ملأ وعاء بالماء وراح يديره بسرعة بين كفيه، فاذا بالوحول تترسب والمياه تصفو، ليسكبها في وعاء آخر. هكذا شربوا جميعاً تحت انظار السنهالي الفخور بأنه اثبت ان غريمه رسوامي ليس وحده العارف بأمور الغابة واسرارها.

بعد ذلك قاموا باشادة خيمهم استعداداً للنوم. حاولت جودي الاغفاء، لكن اضطرابها من حادث البرتقال القاتل واصوات الخفافيش وقوارض الليل حرمتها من الرقاد. كان بلايك قد امتنع عن محادثتها منذ الحادثة وبقي مقطب الوجه عاقد الحاجبين غاضباً.

شعرت جودي بأسى ان حماقتها قد اطاحت بالصداقة التي قد بدأت تنمو بينهما. لم تنس الفتاة انها وبلايك بدآ الرحلة كغريمين. لكنها في الآونة الأخيرة شعرت ان نوعاً من الالفة قد راح يربط بينهما وكأنها رفقة الشقاء والخطر. كانت تشعر بالامتنان لقيادته الحكيمة لهم وتقر بان ما تعرفه عن الادغال لا يقارن بما لديه من خبرة. راحت تتذكر بخيبة انها كانت قريبة جداً منه ولم يحاول عناقها بل اسرع يدفعها الى النوم... والآن حادثة البرتقال المسموم ستعيده الى الاعتقاد بانها مجرد فتاة طائشة وغبية.

اخلدت للنوم وقد برقت دمعة متمردة على خدها المزرق.

في الصباح التالي راحت جودي تشعر بالتوتر كلما تلاقت نظراتها مع بلايك وشاهدت وجهه العابس. لكنها وجدت في ما يحيطها من طبيعة خلابة جمالاً لم تعهده من قبل وقد راحت قطرات الندى تبرق على الأوراق والأغصان كأنها درر ملونة نثرها الفجر. بقيت هي ايضاً عابسة واستمرت في السير وهي تدير ظهرها لبلايك. كان الصغار يعيلون صبرها بصراخهم ومشاكساتهم فتزجرهم بقسوة غير مبررة.

تابعت المجموعة سيرها المضني ترافقها زعقات طيور الببغاء الحمراء الرأس وتواكبها اسراب من الفراشات الزاهية الألوان. بقيت جودي عازفة عما حولها الى ان شاهدت نديا العجوز تقف مشدوهة امام اكتشاف جديد، فقد وقفت السيلانية تتأمل بذهول حوضاً حجرياً يشبه الزهرة كادت الاعشاب تغطيه بكامله. توغلت المجموعة اكثر فوصلت الى فسحة كبيرة مليئة بالأعمدة العملاقة والألواح الحجرية المزخرفة. عالم من الحجر كانت الغابة تستعد لابتلاعه والألياف تحيط بابواب ضخمة من الأبنوس حفرت عليها تماثيل الأسود والأفيال. وسط كل تلك الآثار نمت ازهار من كل نوع ولون، لكن احلاها بنظر جودي كانت زهرة القمر، الزهرة الخجولة التي لا تفتح وريقاتها الا في الليل. تأملتها جودي مطولاً وداعبتها. كانت زهرة القمر مثلها، تخفي شذاها الخلاب وراء مظهرها المنغلق والمتعالي.

اكتشفوا ان تلك المدينة المهجورة تعج ايضاً بالثمار اللذيذة تنبت فوضوية بين الاشكال الحجرية. كان العجوزان منهكين فقرر بلايك قضاء الليل وسط ذلك المكان الخلاب. سعدت جودي لكونها ستريح قواها المنهكة لكن قربها من بلايك اصابها بالضيق.

حاولت تجاهله فانكبت على اعداد مكان مناسب للنوم. عثرت مع الصغار على نبع صغير يتسلل صامتاً بين الاعشاب. احضرت ما يلزم من الماء وتناولت حاجتها من الفواكه ثم جمعت ما تيسر لها من الأعشاب الطرية لتعد فراشها وفراش السيدة ريدجواي. اختارت لنومها مكاناً منعزلاً قرب درج متداع، بعيداً عن نظرات بلايك الخانقة.

حين استلقت على فراشها كان الظلام يهم بالهبوط. حاولت ان تتخلص من مزاجها المتعكر فأصغت الى اصوات الطيور وازيز الحشرات الصغيرة الملونة تتنازع الأجواء ثم غزت انفها رائحة عطر مذهل. فزهرة القمر بدأت تتفتح ببطء مستقبلة الليل القادم على فرسه السوداء...

كانت السيدة ريدجواي قد جلست في فراشها قيد خطوات من جودي. شعرت الفتاة ان الأرملة، رغم نعاسها، لا زالت تحدق بها بنظراتها الساخرة الصفراء. تجالدت كي تبقى في مكانها ولا تذهب للنوم في مكان آخر لا تطالها نظرات الأرملة فيه. وكأن الأرملة شعرت بما يدور في فكر جودي، فتخلت قليلاً عن ابتسامتها الساخرة وخاطبتها:

- اهدأي يا طفلتي. لا يوجد غيرنا هنا.

اجابتها الفتاة بحدة:

- لا افهم سبب قولك هذا. انا هادئة ومطمئنة.

لكن الأرملة لم تستسلم بسهولة، اذ تابعت:

- تعرفين تماماً ماذا اقصد. بلايك رجل جذاب، اليس كذلك؟

اضطربت جودي وعلا الاحمرار وجنتيها. حاولت الاستمرار في

الانكار فقالت:

ـ ما معنى ما تقولينه؟

اجابتها الأرملة وقد كاد صبرها ينفد:

ـ آه، كفي عن المراوغة. لقد راقبت نظراتك الى بلايك في المدة الأخيرة.

صمتت جودي وقد اعيتها الحيلة. ساد صمت ثقيل قطعته الأرملة بقولها:

ـ لا لزوم للخجل يا صغيرتي، انت شابة وبلايك رجل وسيم الطلعة.

استمرت جودي في صمتها لكن الأرملة تابعت:

ـ ستسألين كيف اعرف؟ حسناً انا اعرف الكثير عن بلايك. لم يكن يتردد بكثرة على المدينة لكنه في كل مرة يأتي كنت اراه برفقة فتاة جميلة!

هبت جودي واقفة بغضب. كانت تعلم ان الأرملة تحاول استفزازها لكنها لم تجد ما تجيبها به، فاكملت غرايس:

ـ هل فاجأك كلامي؟ لماذا؟ انه رجل ممتاز ومن الطبيعي ان ترغب الجميلات به.

صمتت قليلاً ثم تابعت:

ـ هيا اذهبي اليه. لا بد انه سيرحب بك، تريحين اعصابه بعد مشقات النهار.

صرخت جودي حانقة:

ـ كفى!

وضغطت راحتي يديها الى اذنيها. انهمرت دموعها وادارت ظهرها للأرملة التي استلقت على سريرها وقالت بتعب واستخفاف:

ـ لا تغضبي مني يا صغيرتي. انا لست مسؤولة عما حل بنا. لماذا لا تذهبين اليه؟ استمتعي بالحياة قدر استطاعتك، فأنت تعرفين اننا لن ننجو ابداً!

ألقت الفتاة جسمها المنهك على الفراش الأخضر ثم تكلمت ببرود:

ـ انا سأخلد للنوم الآن لذا لا حاجة لأن تتابعي الحديث يا سيدة ريدجواي!

اصغت جودي للحظات الى ما حولها. سمعت أنفاس الأرملة تنتظم وتخلد للنوم.

اليوم التالي اراده بلايك يوم عطلة، فبقيوا في مكانهم وسط المدينة الأثرية. خلال ذلك النهار عملت جودي باستمرار على تفادي بلايك لكنها ظلت تشعر بالحاجة الى نصائحه. كانت تضطر احياناً لزجر الأولاد بصوت مرتفع كي لا يتهوروا بتسلق الجدران المتداعية المحطمة. راحت تلجأ الى الوحدة كلما استطاعت الى ذلك سبيلاً وغابت الشمس اخيراً عن المدينة المهجورة.

تأخرت جودي في العودة الى مخدعها كي تضمن انها ستجد الأرملة نائمة حين تدخل للنوم. كانت تريد باصرار تفادي محادثة مشابهة لليلة السابقة. مع آخر اضواء النهار راحت الفتاة تتأمل المنقوشات الحجرية. شاهدت تمثال كوبرا بثلاثة رؤوس وعدة حيوانات اخرى اسطورية. لكن ما طغى على كل حواسها كان عبير زهرة القمر الممتزج بالليل الهابط بتؤدة.

فوجئت ببلايك يقف امامها. كان هو الآخر يحاول تفاديها وبدا انه يبذل جهداً لمخاطبتها حين قال:

ـ كنت انظر الى الخريطة. نحن وسط منطقة الادغال السفلى.

السير سيكون اصعب واصعب من الآن فصاعداً ومن الأفضل ان نمنح العجوزين يوماً آخر من الراحة.

اجابته دون ان تعي:

- كما تقول.

كانت متوترة الاعصاب لكنها لم ترد انهاء المحادثة فتابعت:

- لقد رأيت عدة نقوش للأسد في هذه الآثار. علماً ان لا اسود في سيلان؟

- لغز آخر من الغاز سيلان (اجابها بمرح، ثم تابع) انها حضارة يكتنفها الغموض.

ابتسم بلايك. بدا جلياً انه هو الآخر يقول اي شيء كي يطيل المحادثة. اقترب منها فتراجعت بخوف لتتعثر بحجر ناتىء. كادت تسقط لو لم يتلقفها بذراعيه القويتين. انتفضت وانتزعت ذراعها بعنف من قبضته.

تأملها مبتسماً ثم تكلم:

- منذ ايام وانت صامتة كتمثال ابي الهول. ما بك متوترة الاعصاب الى هذا الحد؟

اجابته بنبرة حادة:

- الأمر لا يعنيك!

صمت بلايك مبتسماً ثم ضمها الى صدره بقوة وعانقها. شعرت بأنفاسها تتقطع وبالدوار يصيبها. تزايدت نبضات قلبها وتمسكت به كغريق يكاد البحر يبتلعه، لكنها تذكرت نظراته الملأى بالاحتقار حين ظن جيري حبيبها وقدرت انها لا تعدو كونها فتاة سهلة بالنسبة اليه، فانتفضت كمن بها مس وافلتت من قبضته. وقفت دامعة

العينين للحظات تتأمله. لمحت ما يشبه الألم في عينيه لكن اضطرابها وجرحها المكبوت دفعاها للهرب بأقصى سرعة...

www.elromancia.com

٧- شاهدت الفهد يسير بخطوات متثاقلة وهو يشتمّ الأرض بحثاً عن الماء. لوهلة داهمها رعب مجنون وشعرت بساقيها تستعدان للفرار الى أي مكان...

في الأيام التي تلت كان داتو الصغير الوحيد الذي اطمأنت اليه جودي وسرت بمرافقته. بدأ الصغير ينظر اليها بتودد وكأنه شعر بها أقرب اليه حين اكتشف انها هي ايضا يمكن ان تخطىء وان تحزن. في يومهم الثاني بين أطلال المدينة المهجورة، راحت جودي تتنزه برفقة الصغير في ارجاء مخيمهم والغابة المحيطة به. كانت تعلم ان بلايك ايضا يكن الكثير من الحنان للصبي، فشعرت ان اليتيم الصغير هو الرابط الوحيد بينهما. أرادت ان تشرح لبلايك انها ليست ابداً كما يظن لكن كبرياءها منعتها من ذلك. راحت تجمع الأزهار لتصنع منها عقوداً توزعها للجميع فيما انصرف بلايك الى العمل على تقوية محمل الأرملة وعلى اعداد مؤونة كافية من الفواكه والثمار.

مع أولى خيوط الفجر التالي تحركت المجموعة. اسبوعان من السير الشاق في الأدغال ظهرا جلياً على ملامحهم المنهكة وأسمالهم الممزقة. كانت ملابس الأرملة هي الأقل تمزقاً لكنها انسابت فضفاضة على جسمها الناحل. بدت اشبه بملكة مريضة تصر، رغم الألم، على الاحتفاظ بمظهرها الجليل.

ساروا لساعات طويلة اكتشفت جودي خلالها عشرات الأنواع من مخلوقات الغابة المتنوعة. نظرت باهتمام الى كل نوع منها يقوم بمهامه مؤدياً قسطه في صراع البقاء الذي تشهده الغابة يومياً. القرود مثلا، كانت تبني احياناً جسوراً طويلة من الألياف تساعدها على العبور بين الأشجار المتباعدة دون ان تخاطر بالسير بين الأعشاب العالية التي لا تخلو من الاعداء. كانت القرود تتنقل برشاقة بين قمم الأشجار لكن احدها على ما يبدو زلّت به القدم. حين شاهدته جودي جمد الدم في عروقها. اطلق داتو صيحة رعب حين شاهد القرد الصغير يجر نفسه جراً. كان ظهره مكسوراً وقد أحاطت به حشود من النمل الأحمر المفترس تنهش لحمه وهو حي. راح يتقدم بصعوبة معتمداً على يديه وقد راح يطلق صيحات الألم واليأس. بصمت اخرج بلايك خنجره الطويل وحمل القرد التعس بيده الأخرى. شاهده داتو فصرخ:

- ماذا تريد ان تفعل؟

أجابه بلايك بصوت رزين:

- سأضع حداً لآلامه!

صرخ داتو حزناً وتعلق بيد بلايك يحاول منعه. ربت الرجل على رأسه بحنان وشرح له ان ذلك أفضل من ترك القرد يموت ميتة بطيئة ومؤلمة لا مفر منها. صمت داتو على مضض فيما حمل بلايك القرد

الصغير وتوغل بين الأشجار ليعود بعد دقائق فارغ الأيدي وقد أعاد الخنجر الى جرابه. أطرق داتو ارضاً وتابع السير بعد ان رفع بلايك المحمل وأشار لهم بيده ان يتقدموا.

بكثير من الجهد والمحبة تمكنت جودي من جعل الصغير ينسى حادثة القرد. راحت تخبره النكات والأحجية وحين خيموا لقضاء الليل لمعت ابتسامة عريضة على ثغر الصبي.

في اليوم التالي تغيرت البيئة المحيطة بهم جذرياً. طيلة الصباح شعرت جودي بالأشجار تقل وبالاخضرار يتراجع من حولهم. عند الظهر وصلوا الى مجرى مائي جف معظمه لكن بعض البرك الصغيرة بقيت في عدة أماكن منه. بامتعاض اكتشفوا ان الماء فيها لا يصلح للشرب فتابعوا السير. لازموا المجرى الجاف لأن بلايك قدر انهم سيجدون فيه عاجلا ام آجلا ماء يمكن شربه. كانت الشمس تكوي جلدهم وقد ساروا تحتها مفتقدين غطاء الأشجار الوارفة والكبيرة. وصنعت نديا قبعات من الأوراق العريضة لتقيهم من حر الشمس اللاهبة.

اكتشفوا خلال سيرهم ان المجرى الجاف قد أصبح مقصد الحيوانات الباحثة عن الماء. شاهدوا آثار الأفيال والجواميس البرية على الأرض الموحلة لكن القلق ساورهم حين راحوا يكتشفون آثار الفهود والوحوش الضارية وبقايا طرائدها الملقاة على الوحل.

لكن الحظ لم يتخل عنهم ففي آخر ذلك النهار كوفئوا على مثابرتهم اذ اكتشف بلايك ان المياه تجري بغزارة تحت السطح الذي حفره ثم قام جايامان بتنقية الماء بطريقته. بعد قليل اطفأوا ظمأهم وأخلدوا للراحة. عثروا على اشجار مثمرة كثيرة لكنها كانت في أماكن عالية يصعب الوصول اليها فالمجرى المائي حيث يسيرون يشكل قعر واد

سحيق ترتفع جدران عالية حوله.

قرر بلايك العودة الى الخلف حيث شاهد مكاناً يمكن من خلاله الوصول الى القمة حيث الأشجار المثمرة. كلف جايامان ورسوامي بحراسة المجموعة وسار الى الخلف فاذا بجودي تلحق به قائلة:

ـ سأذهب معك. نحن بحاجة للكثير من الثمار ولا يمكنك في مرة واحدة ان تحضر ما نحتاجه!

صمت قليلا ثم وافق. سارا جنباً الى جنب وقد حملت جودي سلة نديا المستطيلة في يدها. وبعد عشرين دقيقة وجدا مسلكاً الى السفح العالي. بدأ بتسلقه وسط صرخات القرود التي نظرت اليهما باستهجان. وفجأة ساد الصمت. نظرت جودي الى رفيقها فوجدته يصغي بقلق. سألته بذهول:

ـ ماذا يحدث؟ لماذا ساد الصمت؟

اجابها بلايك بتمهل، لكن القلق كان بادياً على محياه:

ـ لقد أحست القرود بخطر ما والأفضل ان لا ننتظره في مكاننا المكشوف!

بسرعة جذبها من ذراعها ليختبئا وراء أجمة مشرفة على المجرى الموحل. أشار عليها بالصمت واضعاً اصبعه على فمه. نظرت الى قمم الأشجار فشاهدت كل القرود تتجمع عليها دون اي صوت. بعد قليل شاهدت الخطر القادم فحبست أنفاسها.

كان الفهد يسير بخطوات متثاقلة على المجرى الجاف وهو يشتم الأرض بحثاً عن الماء ومن حين لآخر يرفع رأسه ناظراً ذات اليمين وذات اليسار. من مخبأها بين الاعشاب شعرت جودي بنظراته الثاقبة تصيبها. لوهلة داهمها رعب مجنون وشعرت بساقيها تستعدان للعدو. وما ان تحركت حتى ثبتها بلايك ارضاً واضعاً ذراعه حولها.

حين لامس خصرها شعرت باطمئنان غريب طرد الخوف من قلبها. نظرت الى الوحش يحفر الأرض بمخالبه. بدا جميلا وبدت عليه ملامح النبل وهو يشرب فيما ساد الصمت المطبق حوله. بعد ذلك شاهدته جودي يبتعد فيما عادت الحياة تدريجياً الى قبائل القرود المختبئة في قمم الأشجار. كان بلايك أول من تكلم قائلا:

ـ لحسن الحظ انه يتجه في عكس خط سيرنا. لا أريد تصور لقائه برسوامي وجايامان.

نظرت جودي الى رفيقها. رأت يده لا تزال ممسكة بالخنجر الطويل الذي غرقت قبضته في كفه. تنفس الصعداء وأعاده الى جرابه...

حين عادا الى القافلة محملين بالثمار قرر بلايك قطع استراحتهم ومتابعة السير فوراً. لم يذكر شيئاً عن الفهد لكن جودي قدرت ان الوحش هو سبب قراره غير المتوقع اذ من يدري، قد يكون للوحش أتراب يبحثون ايضا عن الماء. اقترب بلايك منها هامساً في أذنها ان تسهر على بقاء الجميع متقاربين اثناء السير. حاول اخفاء قلقه بابتسامته الواثقة لكنها خافت ان تتخيل ماذا كان حدث لو ان الفهد هاجمهما في مخباهما قرب المجرى الجاف.

تابعوا السير الى ان بلغوا مشارف الغابة. جلسوا في فسحة صغيرة مظللة لالتقاط انفاسهم. كانت جودي تعلم ان بلايك سيبتعد عن المجرى المائي كي يتفادى الوحوش الضارية. لكن الفسحة التي بلغوها لم تخل من آثار المخالب الطويلة القاطعة. كانت المياه تندر في هذه المنطقة وبدا لجودي ان الحيوانات تجوب كل أرجائها بحثاً عنها. هنا تذكرت جودي ما قاله والدها الراحل ذات مرة: أخطر الوحوش هو الوحش العطش او الجائع!

كان العجوزان ينظران ايضا بقلق الى آثار الوحوش الضارية. فعقدا مع بلايك جلسة مناقشة لبحث أفضل السبل لحماية المجموعة. اتفق الثلاثة ان كل الوحوش ستسلك طريقهم مع هبوط الليل بحثاً عن الماء. كان الظلام يوشك على الهبوط حين قام بلايك بجولة استطلاعية في المكان الذي بلغوه ثم تباحث مع الرجلين في امكانية بناء حصن يحتمون داخله.

بدا جايامان خائفاً. اخبرهم ان اجداده السنهاليين برعوا في اقامة الحصون، لكن من دون ان يتظروا الدقائق الأخيرة قبل هبوط الليل للمباشرة بالعمل.

عملوا جميعاً باستثناء الأرملة على بناء جدار بشكل حدوة حصان على منحدر صخري يشرف في وجهته الأخرى، على هوة عميقة لا يمكن للوحوش تسلقها.

لم يكن الوقت سانحاً للاهتمام باعداد فرش وثيرة. على عجل جمع بلايك بعض الأعشاب الطرية لتنعم الأرملة لوحدها بالنوم شبه المريح وأسرع الجميع وراءه فيما بدأت آخر انوار النهار تتلاشى.

كان المكان ضيقاً ونام كل من العجوزين في أحد طرفيه. بينهما رقدت نديا تحتضن حفيدها وراجا ونام داتو عند قدمي جودي قرب الجدار اما الأرملة فنامت على فراشها الأخضر في الوسط. نظرت الى ما حولها مبتسمة بسخرية وأغفت بهدوء.

تمركز بلايك عند طرف الجدار مراقباً الخارج. بسرعة نهضت جودي وبدأت بالمراقبة في الجهة الأخرى. في الظلام الحالك وقفا، كل في مواجهة الآخر، يراقبان الطريق الترابي.

أمضت جودي ساعات الليل الأولى بقلق. كانت النسمات تخدعها مراراً، تهز اوراق الأشجار المجاورة فتنتفض هي بخوف

باحثة عن وحش ما قد ينقض عليها فجأة.

ثم ظهر القمر وراح ضوؤه الفضي ينير المكان. آلمها ذلك. فالقمر دائماً رفيق العشاق والأحبة لكنه لتلك الليلة ينير غريبين راح كل منهما ينظر الى الآخر بريبة وحذر وكأنه احد تلك الوحوش قد عبرت السور لتفتك به حين يدير ظهره. بقيت جودي تنقل نظرها بينه وبين زهرة القمر التي انتشرت على سفح المنحدر وقد تفتحت لليل مطلقة عبيرها الفواح.

نظرت الى بلايك ودمعت عيناها مجدداً. كانت واثقة انه كون انطباعاً سيئاً عنها وان أي شيء تقوله لن يجعله يغير رأيه...

ومر الليل الطويل. بعياء شاهدت جودي الفجر يشق غرة الأفق وسمعت بلايك يخاطبها:

ـ لم يعد هناك ما يقلق. اذهبي الى النوم.

كانت جودي واثقة انها ستبقى ساهرة في فراشها لكنها فوجئت حين أيقظها بعد ساعات صوت بلايك الهادىء:

ـ حان وقت السير. هل استرحت بما فيه الكفاية؟

لاحظت جودي ان بلايك بات في المدة الأخيرة يحادثها بصوت هادىء ولطيف. أنهكها سهرها الطويل فسارت بصعوبة وألم. كان الطقس حاراً رطباً ووجدت الفتاة صعوبة في تفادي اسراب الذباب والبعوض. اصبح السير شاقاً وتزايدت الأعشاب وتكاثفت لكن بلايك لم يدعهم يستريحون قبل الانتهاء من المجرى الموحل المكتظ بآثار الحيوانات المفترسة. ثم عادوا الى السير في الأدغال الكثيفة. كانت الظلال الوارفة تقيهم من أشعة الشمس اللاهبة وراح وقع أقدامهم على الألياف اليابسة يبعد كل القوارض من طريقهم. لم يتوقفوا الا مساء حين بلغوا فسحة تظللها الأشجار العالية فجلسوا

ارضاً وغط بعضهم بالنوم.

كانت جودي تسرح في أفكارها حين هزها صريخ جايامان. اسرع الجميع الى حيث رقد السنهالي فوجدوه يرتجف. نظرت جودي الى بلايك الذي خاطب العجوز بلغته ثم كلمها:

ـ لا تقلقي. لقد رأى كابوساً مخيفاً!

في الصباح التالي واجهتهم مشكلة جديدة وهم يستعدون للانطلاق، فقد اقتربت جودي من بلايك لتبلغه ان الأرملة تشعر بتوعك وانها ليست قادرة على السير. بسرعة اتجه بلايك الى حيث رقدت السيدة ريدجواي. كانت محمومة وقد تصبب العرق من جبينها... خاطبها بلطف:

ـ ما الأمر يا غرايس؟

اجابته الأرملة بابتسامتها الساخرة المعهودة. كانت تنظر الى قمم الأشجار حين خاطبها فالتفتت اليه لتقول ببرودة:

ـ افضل البقاء هنا يا بلايك. اذهبوا واتركوني!

ابتسمت الأرملة لكن بلايك ادرك انها تطلب منه ببساطة ان يتركها تموت. هز رأسه قائلا:

ـ هراء. سنبقى هنا معك الى ان تصبحي قادرة على الحراك.

جمع بلايك كومة كبيرة من اكثر الأعشاب طراوة ولياناً وأعدّ للأرملة فراشاً مريحاً. ثم صنع لها مروحة من الأوراق الكبيرة ليبردها ويبعد عنها الحشرات. بقي طيلة النهار قربها يحرص على راحتها ويعمل على خدمتها بتفانٍ.

استغل الآخرون الفرصة للراحة وحاولت جودي تسلية داتو ببعض الألعاب لكنها لم تكن سعيدة.

حين هبط الليل استلقت جودي بجانب الأرملة. كان الظلام قد

خفف من شدة الحر وصار الجو لطيفاً.

في صباح اليوم التالي تبين ان الأرملة لا تزال محمومة فبقيت المجموعة حيث هي. عند الظهر عقد الرجال الثلاثة اجتماعاً للتداول في الأمر أتى بعده بلايك لمقابلة السيدة ريدجواي قائلا:

ـ لقد نفد الماء وسنضطر للسير يا غرايس. لكن لا تقلقي، سنحملك بعناية فائقة وسأؤمن لك وسائل الراحة في الطريق.

عمل بلايك بتفانٍ على تغطية المحمل بأعشاب طرية وكثيفة تقي الأرملة قدر الامكان صدمات الطريق ومطباتها، ثم حملها بحنان وأجلسها بتمهل. اغمضت عينيها حين حمل الرجال المحمل وانطلقت القافلة.

ساروا ببطء وقد أضناهم الحر والعطش. اخترقوا مناطق خالية من الأشجار فتعرضوا لأشعة الشمس الكاوية. لم يتوقفوا للاستراحة الا بعد الظهر حين بلغوا فسحة وارفة الظلال تحيط بها الأشجار العالية. لكن بلايك لم يدعهم يستريحون طويلا فالماء قد نفد وهم مضطرون لمتابعة السير بحثاً عنه.

لم تتوقف المجموعة الا مع هبوط الليل. كان الصغار قد عثروا على نبع صغير يترقرق ماؤه العذب بين الصخور فقرروا قضاء الليل قربه. اسرع بلايك الى اعداد فراش الأرملة حيث وضعها برفق. شق قميصه لينتزع منه خرقة بللها بالماء وراح يمسح بها جبينها بعد ان شربت وروت ظمأها. طوال الليل تابع الاهتمام بها وكان بين وهلة وأخرى يقصد النبع ويبلل الخرقة بالماء ليمسح بها جبين غرايس ريدجواي.

قبل ان تخلد للنوم ارادت جودي ان تطمئن الى صحة السيدة ريدجواي. خاطبتها لكنها لم تجب. كانت الفتاة متأكدة من ان ظل

ابتسامة ساخرة ارتسم على الشفتين النحيفتين حين استدارت مبتعدة لتخلد للنوم.

تلك الليلة لم ينم بلايك موريسون. من وقت لآخر راحت جودي تستيقظ لتلمحه يمسح جبين السيدة ريدجواي. تساءلت كيف يقدر ان يصمد لفترات طويلة ساهراً ثم غطت في نوم عميق.

استيقظت جودي في الصباح التالي على خرير الجدول الصغير. أرادت فوراً ان تطمئن الى صحة الأرملة لكنها، ويا للعجب، نظرت حولها فلم تجد أثراً لغرايس او لفراشها. حدقت مجدداً وتأكدت انها لا تحلم. نظرت الى طرف المخيم فشاهدت بلايك يتنقل كعادته منكباً على عمله.

حدقت جودي مطولا بما حولها. لمحت طرف فراش الأرملة بين الأشجار المتشابكة في الجهة المقابلة فأسرعت تحث الخطى لمقابلتها، متسائلة لماذا نقلها بلايك خارجاً خلال الليل. شعرت بذراعه على كتفها وسمعته يقول بصوته الرزين:

ـ لا تقتربي اكثر!

نظرت اليه دون ادراك. جذبها من ذراعها وانتحى بها جانباً. شاهدت ملامحه المكفهرة وهو يخاطبها بهدوء:

ـ لقد بذلت كل ما بوسعي لكن بدون جدوى. غرايس ريدجواي ماتت قبيل الفجر!

لوهلة صمتت جودي تحاول استيعاب ما قاله. شعرت بالأرض تموج تحتها. استدارت بسرعة وانصرفت لتجلس وحيدة حيث كانت تنام. دور من التالي؟ فكرت برعب. فالأرملة هي أولى حبات العنقود!

طيلة الصباح عمل بلايك والرجلان على اعداد مدفن لائق

للأرملة. راقبتهم جودي من بعيد. تصورت وقع الخبر على جيري فشعرت بقلبها ينشطر حزناً. شاهدتهم يلقون التراب فوقها فأجهشت بالبكاء.

٨ـ كانت من وقت لآخر تستيقظ فجأة وهي تصرخ. وأحياناً تشعر ببلايك ينحني فوقها ويطمئنها بصوته الهادىء لكنها لا تعرف اذا كان ذلك حلماً أم... حقيقة.

بدا لجودي ان وفاة الأرملة قد زادت في عمق الهوة بينها وبين بلايك، فمزارع الشاي كان يظن مثل كل أهالي كاليوا ان جيري سبب الحادث للأرملة ولم يعد يريد الزواج منها. كان بلايك يتذكر دائماً مشاهدته لجيري وجودي في عناق بدا له عناق عاشقين ويفكر ان الفتاة، بوفاة الارملة، ستحصل على جيري دون منازع.

كانت جودي تعرف الحقيقة. وتعرف ان الارملة تسببت بالحادث لرعونتها وطيشها وتعرف أيضاً ان جيري ظل مغرماً بها على الرغم من اصابتها كما انها كانت تعرف أيضاً ان عناقهما لم يكن سوى عناق أخوي بين صديقين دامعي القلب.

كان دفن الارملة عملية شاقة على العجوزين فأمضيا كل بعد

الظهر في الاستراحة. ورغم الحر الشديد لم يتذمر أحد، فأحداث النهار اصابت الجميع بالوجوم.

في اليوم التالي هبوا للسير مع أولى خيوط الفجر. كانت القرب المملوءة بالمياه ثقيلة على نديا فحمل معظمها رسوامي وجايامان تاركين بلايك طليق اليدين كي يتمكن من الاشراف على سير القافلة بسرعة.

بدا الطريق مغبراً وانتشرت روائح الحيوانات في كل مكان. سار بلايك وجودي في المقدمة وتبعه الاولاد الذين مشى وراءهم رسوامي ونديا. اما جايامان فقد سار وحيداً في مؤخرة المجموعة.

كان صمت بلايك وعبوسه يزعج جودي ويثبط همتها. راحت تشعر بآلام شديدة في كل انحاء جسمها، فالتعب والحزن والقلق بدأ ينخر مقاومتها، كما ان الحر الشديد راح يضيق انفاسها. كانت تنظر الى ما حولها فتجد احياناً طيوراً تقبع على غصن شجرة فاتحة مناقيرها لالتقاط نقاط الماء القليلة التي قد تمنّ بها السماء.

حين هبط الليل أخيراً وتوقفوا للنوم عملوا جميعاً على اعداد خيم من الاغصان اليابسة والاوراق. وحين راحت جودي تستعد للنوم سمعت صرخة مرعبة جعلت قلبها يتوقف. كانت نديا العجوز قربها فكلمتها:

ـ انه طائر العفريت. صراخه يشبه صوت انسان يقتل. احياناً يصيب من يسمعونه بالجنون!

حاولت جودي النوم لكن عبثاً. كان توتر اعصابها وخفقان قلبها المتزايد يحرمانها من أية اغفاءة. نهضت ونظرت الى بلايك يجلس للحراسة في البعيد. أرادت ان تذهب لمحادثته لكنها لم تجرؤ، فجدار من الصمت كان يفصله عنها منذ توفيت غرايس ريدجواي.

رويداً رويداً غلبها النوم. رأت عدة كوابيس مزعجة قبل ان تستيقظ صباحاً على صوت صراخ ظنته في البداية وهماً. نهضت وتبعت بلايك الى حيث فوجئت برؤية العجوزين يقفان كل في مواجهة الآخر وقد لمع خنجره الحاد بيده.

كان الموقف حرجاً، فقد لمعت نظرات كل منهما بحقد دفين أججته مشقات السير المضني. تبادلا الاهانات كل بلغته وتدريجياً راحت المسافة تصغر بينهما.

اعترضهما بلايك. وقف في وسطهما وزجر كل منهما بلغته طالباً منهما الاستعداد لمتابعة السير.

مشت جودي بجانب بلايك وهي تتمنى ان يضبط كل من الرجلين اعصابه. كان قد شعر مثلها، منذ بداية رحلتهم الشاقة، ان عداوة مستترة تفصل بين الرجلين. قال لها هامساً:

ـ ارجو ان ينتهي عذابنا قبل ان أفقد السيطرة على هذين العجوزين!

ساروا طيلة النهار عبر حواجز شائكة من العليق والعوسج. كانت الألياف اليابسة تلتف حول اقدامهم احياناً فيتعثرون ويسقطون لينهضوا مجدداً. لكن العامل الايجابي الوحيد الذي ساعدهم بعض الشيء هو عثورهم على الكثير من الاشجار المثمرة التي أبعدت عنهم شبح الجوع والعطش بفاكهتها المغذية.

حفر التعب اخاديد في وجوههم. شعرت جودي ان رجليها لم تعودا قادرتين على حملها. في اللحظة الأخيرة حماها بلايك من السقوط. اشار الى فسحة واسعة بين الاشجار قائلاً:

ـ سنستريح هنا.

أرادت جودي ان تعترض، مصرة على متابعة السير لكنه تجاهلها

واجلسها بيده على الحشائش الطرية. حاولت ان تساعد نديا والاولاد على اعداد ما يلزم للنوم لكنها عجزت عن الحراك. تمنت ان لا تسمع زعيق «طائر العفريت» مرة أخرى لكن صراخاً حاداً قطع حبل افكارها.

لأول وهلة ظنت ان الطائر اللعين قد عاد لازعاجها لكنها اكتشفت بسرعة ان الأمر اخطر من ذلك، ففي وسط الفسحة كان رسوامي وجايامان يتواجهان مجدداً، كلاً حاملاً خنجره. صرخت باعلى صوتها لبلايك واسرعت تحاول الفصل بينهما.

كان رسوامي يستعد لمواجهة غريمه حين سقطت منه اوعية الماء التي يحملها. انحنى محاولاً انقاذها مديراً ظهره لجايامان الذي رفع يده بالخنجر وقد تطاير الشرر من عينيه. صرخت جودي وقفزت امامه دون تردد لكنه لم يتوقف. برعب شاهدته يهم بطعنها، لكن في اللحظة الأخيرة صرخ بلايك به بصوت جعله يجمد في مكانه. اقترب وانتزع الخنجر من يده وهو يعنفه بلغة لم تفهمها الفتاة. ثم اخذ خنجر رسوامي وشكه ايضاً في حزامه. ابتعد العجوزان بخجل فيما التفت بلايك ناحية جودي غاضباً. رأته يهم بالكلام لكنه لم يتلفظ بحرف. نظر اليها بعتاب وهز رأسه مطلقاً زفيراً قوياً وانصرف.

كانت نديا، التي لم تتحيز الى أحد من العجوزين، قد أبعدت الصغار عن ساحة المعركة. لكنها الآن استدعتهم لمساعدتها في البحث عن الماء فكلُ مخزونهم سال على الأرض حين أسقط رسوامي القِرَب.

مع هبوط الليل حاولت جودي النوم. بقيت تتخيل خنجر جايامان الطويل يستعد ليغرز في قلبها. كانت من وقت لآخر تستيقظ

فجأة وهي تصرخ وأحياناً تشعر ببلايك ينحني فوقها ويطمئنها بصوته الهادىء لكنها لم تعرف اذا كان ذلك حلماً ام حقيقة فهي رأته يجلس في مكانه المعهود بعيداً عنها حين استيقظت في اليوم التالي.

كانت الصحراء تخترق طريقهم في عدة أماكن وشاهدت جودي القرود تتنقل عطشى، من شجرة الى أخرى بحثاً عن ثمار رطبة. اثناء سيرهم شاهدوا قطيعاً من الجواميس البرية يرعى بحذر في البعيد فطلب منهم بلايك عدم احداث أية ضجة كي لا تهاجمهم.

كانت الغابة تؤمن لهم الحماية الوحيدة من أشعة الشمس الحارقة لكن الحر راح يعصر انفاسهم. بدأت جودي تشعر بجفاف مؤلم في حلقها ورغماً عنها انهمرت دموعها وهي تجبر نفسها على السير.

حين هبط الليل واستعدوا للنوم اقتربت جودي من بلايك لتسأله:

ـ ألا يعني وجود الجواميس اننا قريبون من المياه؟

اجابها بلايك:

ـ بلى. فنحن سندخل قريباً في منطقة ملأى بالمستنقعات.

ـ اذن، سنحصل على مياه للشرب وجايامان سينقيها من الاوحال بطريقته.

أجابها الشاب:

ـ انت جد متفائلة، قد لا نتمكن من مجرد الاقتراب منها!

امتنعت جودي عن الردّ، متسائلة عن سبب تشاؤمه المفاجىء. اخلدت للنوم وهي تتخيل بحيرة زرقاء جميلة تحيط بها الاعشاب الطرية..

في اليوم التالي اكتشفوا آثاراً غريبة. فقد عثروا في شق صغير جاف على احجار صغيرة نقشت عليها افاعي الكوبرا المتعددة الرؤوس.

في الماضي كانت جودي تهتم باكتشافات من هذا النوع أما الآن فقد تناست الآثار المنقوشة سريعاً وتابعت السير الشاق مع زملائها في الرحلة.

أمضوا الصباح دون اي طعام أو شراب، فالثمار كانت تندر والمياه تشح مع كل خطوة يخطونها. لكنهم، بعد ساعات من السير، بدأوا يرون دلائل على قرب وجود الماء... فقد شاهدوا في البعيد عدداً من الطيور التي تحلق عادة في جوار البحيرات.

شعرت جودي بالأمل يتنامى في صدرها وهي تتابع التقدم، لكنها حين اقتربت كادت لا تصدق عينيها. أمامها، وسط سور من الاشجار العالية، امتدت بقعة وحل كبيرة تنبعث منها رائحة العفن الكريهة وتعج بالجرذان والقوارض الأخرى.

انهارت جودي يأساً وقهراً. حاول بلايك التخفيف من وقع الصدمة عليها فابتسم قائلاً:

- تشجعي. قد نوفق في المرة القادمة. هيا بنا!

نهضت وتابع الجميع السير. جففت دموعها وهي تحاول التفاؤل مجدداً وفي أولى ساعات الغروب خرجوا من الغابة ليجدوا أمامهم بحيرة ماء توهجت صفحتها كالمرآة. كاد المسافرون يغطسون فيها فوراً لكن بلايك أمرهم بلهجته الحازمة بالتراجع. سريعاً عرفت جودي السبب، فقد شاهدت الحشائش المحيطة بالبحيرة تتحرك وتتحول الى فكين كبيرين زرعا بالاسنان القاطعة. خلال لحظات ظهرت تماسيح أخرى وقد راح بعضها يمضغ اسماكاً اصطادها للتو من البحيرة. سرت القشعريرة في أجسام المسافرين وهم يتخيلون ما كان حل بهم لو لم ينبههم بلايك في اللحظة الأخيرة.

تابعوا السير وبلغوا بحيرة أخرى ملأتها الجواميس البرية.

تجاوزوها بصمت فيما استنتجت جودي ان بلايك كان محقاً في تشاؤمه قبل ليلة.

مع الغروب، حين توقفوا عن السير، بدأت جودي تحاول نسيان العطش الذي يحرق حلقها ولسوء الحظ وجدت ما مكّنها من ذلك. فقد اكتشفت ان داتو مريض!

كان اليتيم الصغير الذي ساءت صحته تدريجياً يتأخر عن اللحاق برفاقه. فتضطر جودي احياناً لمسكه من يده الصغيرة كي لا يشط عن الطريق. احياناً اخرى، كان بلايك يحمله او يمسك بيده فيبتسم الصغير اعجاباً ببطله ويجدّ في السير فتشعر جودي بالغصة لرؤية الصداقة المتينة بين الصبي وبلايك وتتمنى لو انه أقام الرابط نفسه معها. ثم لا يلبث داتو ان يبتسم لها فتشعر بطيبته تشع من عينيه الكبيرتين ويملأ الحنان قلبها.

كانت جودي قد شعرت اثناء ذلك النهار بتعثر داتو المستمر وبصعوبة سيره لكن ما أقلقها هو شحوب وجهه المتزايد وارتجاف يديه. حين استعدوا للنوم لامست الفتاة جبينه لتكتشف انه محموم.

تلك الليلة أعد بلايك وجودي فراشاً طرياً لداتو. غطته الفتاة بأوراق الشجر العريضة وحاولت ان تطعمه ثمرة أناناس عثرت عليها لكنه رفض. نامت قربه بعد ان سقته آخر قطرات الماء التي بقيت لديهم.

طوال الليل أصغت جودي بقلق الى صوت انفاسه المتقطعة. شعرت بسرور جم حين رأته وقد استعاد قوته في الصباح لكن الحمى لم تفارقه. اقترب بلايك من الصغير ومازحه ثم رفعه ليحمله على كتفه. كان مضطراً لمتابعة السير، فالماء قد نفد.

طوال النهار ظل داتو الهم الاكبر لدى جودي وبلايك الذي كان

الصغير ينام على كتفيه باستمرار. حاولت الفتاة عبثاً محادثته ومداعبته وحين توقفوا لقضاء الليل وجدت جودي ان حرارة الصغير مرتفعة جداً. روت له قصصاً مسلية بلغته وبعد اغفائه راحت تمسح جبينه بمحرمتها الرطبة. كانت قد احتفظت ببعض الماء في قربتها الصغيرة فأعطتها له دون تردد.

مع الفجر كان داتو لا يزال منهكاً. ابتسم سعيداً حين حمله بلايك وحاولت جودي ابقاءه واعياً فراحت تروي له القصص الجميلة. لكنها شاهدته يغمض عينيه ويخلد للنوم مجدداً.

طيلة ذلك النهار استمر الطقس الحار والخارق. بحثت جودي بجهد عن ثمار تطعمها للصغير فيما تابعت المجموعة سيرها الشاق. كانوا في اولى ساعات بعد الظهر حين توقف بلايك فجأة وأخبرهم بصوت اجش:

ـ سنخيم هنا الليلة!

استغربت جودي قراره المفاجيء فهو عادة لا يتوقف قبل المغيب. لكنها سعدت ايضاً بالفرصة المبكرة للاهتمام بداتو الصغير. اختارت مكاناً مريحاً له وصنعت له وسادة من الاوراق الطرية. انزله بلايك بتمهل وركع الاثنان حوله. مسحت جودي جبينه ففوجئت به بارداً. اخبرت بلايك بخوف:

ـ حرارته منخفضة جداً!

لكن بلايك لم يجب، بل بقي عابساً مقطب الحاجبين. اعادت جودي التحديق بالصغير. ظنت ان الأمر قد يكون مجرد وهم، لكنها احست بأن بريقاً في وجهه قد خبا. شاهدت بلايك بذهول ينحني فوق الصبي لاصقاً اذنه بصدره الصغير، ثم يجس نبض معصمه الهزيل. لم تصدق جودي ما يجري وبالأخص حين شاهدت، للمرة

الأولى، دمعة ساخنة تنحدر على وجه بلايك المخدد. امسكت بالصبي الصغير وراحت تهزه بعنف. كانت ترفض ان تصدق. راحت تردد بألم:

ـ مات داتو! مات داتو!

حاول بلايك تهدئتها لكن عبثاً. راحت تولول كالمجنونة، كالأم الثكلى وهي تلطم كفاً بكف وقد عصرتها الفاجعة.

انتظرها بلايك طويلاً. كانت لا تزال تبكي حين جذبها من يدها بعيداً عن جثة اليتيم الذي فاضت روحه الى باريها.

تلك الليلة انزوت جودي بعيداً تراقب دامعة رسوامي وندیا العجوزين يقومان بدفن داتو حسب طقوس التاميل. راحت الالحان الحزينة الناحية التي أنشدها العجوزان تمزق اذنيها. ارادت ان تهرب. ان تبتعد. ان تطلق ساقيها للريح لكنها خشيت ان يحاول بلايك اللحاق بها فيسقط منهاراً، اذ هو الآخر هدّته الكارثة وبات بالكاد قادراً على الوقوف. فالاثنان شعرا انهما فقدا ابناً لهما.

في الصباح كان على جودي ان تتعلم تحمل المشقات دون رؤية عيني داتو الباسمتين تبلسمان جراحها. راحت تدمع حين تلاحظ الفراغ بينها وبين بلايك وأحياناً كانت تبحث لا شعورياً عن اليد الصغيرة تضغط على كفها بلطف. راحت تتذكر كيف بكى داتو لموت القرد الصغير وها هي الآن تبكيه. اكثر من قبل أحست جودي بالموت يلاحقهم لينالهم واحداً بعد آخر.

تلك الليلة عجزت جودي عن النوم. بقيت تحدق بالنجوم حتى انبلاج الفجر وقد شعرت بعينيها تشتعلان مثل كتلتين من لهب.

مع معاودة السير بدأت جودي تقتنع بما قالته الارملة الراحلة. كانت كل البوادر تشير الى انهم لن يخرجوا ابداً من الجحيم الأخضر

القاتل لكنها، ويا للعجب، شعرت ان الأمر لا يعنيها.

بعد ظهر ذلك النهار بدأت الطبيعة المحيطة بهم تتغير تدريجياً وراحوا يشاهدون اشجار البن والقرفة. كانوا يبحثون فيما حولهم عن الماء الذي بدأوا يشتمون رائحته. فجأة خرجوا من الغابة وامتد أمامهم سهل مزروع بالأرز غطته المياه في بقع كبيرة متجاورة. كان السيلانيون الثلاثة أول من نظروا الى الافق وشاهدوا عشرات المزارعين بأسمالهم البيضاء يعملون في جني المحصول. فوجئت جودي بصرخات الفرح حولها وحين رأت انهم نجوا كادت تقع ارضاً لو لم يمسكها بلايك.

اقترب منهم رجل يعتمر لفائف بيضاء. كان حذراً لكن بلايك طمأنه وروى له بلغة التاميل مأساتهم. على الفور اسرع الرجل ليحضر عربة يجرها حصان صعدوا جميعاً اليها. كان الكل فرحين بنجاتهم ما عدا بلايك وجودي. كانت تبكي حين تمتمت:

ـ لو انه صمد يومين... يومين فقط...

أحنت رأسها الى كتف بلايك الذي ربت على ظهرها بحنان، ثم ساعدها على النزول حين توقفت العربة أمام مجموعة من المباني حيث قدمت للمسافرين مياه عذبة وبعض الفواكه. بعد ذلك، وبناء على طلب بلايك، تابعت العربة سيرها الى أقرب مركز حكومي ليتم الابلاغ عن الكارثة والضحيتين. بعد ذلك نقلت المجموعة الى قصر حاكم المدينة السيد كاندسمي الذي أخبره بلايك بتفاصيل مغامرتهم. بسرعة وصل طاقم طبي للاعتناء بالمسافرين المنهكين وأقاموا مستوصفاً للطوارىء نقل الجميع اليه. هناك، حين توقفت العربة، ترجل بلايك وحمل جودي على ذراعيه القويتين. دخل الى غرفة بيضاء واسعة وهناك أنزلها على سرير كبير. نظر اليها مطولاً ثم

خرج فيما اخلدت هي للنوم.

حين استيقظت جودي في اليوم التالي كان الوقت ظهراً والشمس تنير غرفتها بضوئها المتوهج. نهضت لتنظر الى الحديقة الكبيرة في الخارج ثم شربت كوباً من الماء النقي وضع قرب سريرها.

ثم دخلت خادمة عجوز ارشدتها الى حيث تستحم وأعطتها ثياباً نظيفة قدمتها لها زوجة الحاكم.

كانت صدمة كبيرة بانتظار جودي حين لمحت وجهها في المرآة. شعرت انها امام امرأة اخرى. عجوز أحنى العمر ظهرها وجعد ملامحها. شعرت باطرافها متيبسة لكنها وجدت ان بمقدورها السير لمسافات قليلة.

بعد ذلك حين دعيت جودي الى مائدة الحاكم للغداء كان بلايك هناك. رأته متألقاً ببذلته الانيقة وهندامه المرتب. بدا وكأنه آتٍ للتو من عطلة مريحة ولم تلمح عليه أي آثار للمشقات التي عبروا بها. كان قد حلق لحيته الكثة فشعرت انه قد عاد سنوات الى الوراء.

تأملته بهدوء وقد خنقتها الغصة. كان يتحادث مع السيد كاندسمي حين دخلت، فتبادلت معهما التحيات ثم أجلسها بلايك على مقعد وثير الى جانب الحاكم. جلست دامعة العينين تتظاهر بالاصغاء الى حديث الرجلين.

بعد الظهر امتلأت حديقة الحاكم بالصحفيين الذين اتوا من كل انحاء البلاد لمقابلة أبطال تلك المغامرة الرهيبة وتسجيل كل احداثها. كان جايامان يقف بكبرياء أمام عدسات المصورين فيما راح رسوامي يثرثر ضاحكاً مع المراسلين. اما نديا والولدان فقد شعروا بالذهول وسط هذا الحشد الذي انكب عليهم بالاسئلة.

كانت جودي تجلس على مقعد وثير بجانب بلايك الذي انتصب قربها كحارس مخلص فيما راحت تجيب على الاسئلة ببطء وتردد. راح بلايك يمنع الصحفيين من ازعاجها ويصرّ على منحها استراحة قصيرة بعد كل مقابلة.

في اليوم التالي تصفحت جودي ضاحكة كل صحف الصباح ورأت صورهم في صفحاتها الاولى. كانت احدى الصحف قد نشرت ايضاً صورة من الارشيف للسيدة غرايس ريدجواي اما داتو الصغير فقد عُثر على صورة واحدة له في المدرسة التي كان سيلتحق بها...

أمضت جودي ما تبقى من النهار في التنزه بين الزهور. كانت مخيلتها تسرح مع الروائح العطرة فتعود الى الادغال والى زهرة القمر التي سهرت معها هناك.

كانت تتأمل السماء الصافية حين نادتها السيدة كاندسمي. اقتربت وابلغتها ان السيد جيري سومرز يود مقابلتها. كان صديق والدها الراحل قد قرأ الصحف واطلع على الحادثة الرهيبة التي ألمت ببلايك ورفاقه. راحت تتخيل عنف الصدمة التي أحس بها حين اكتشف ان حبيبته غرايس ريدجواي ترقد الى الابد في مكان ما من الادغال وليست في طريقها على الباخرة الى انكلترا.

كان جيري يخفي مأساته عن الجميع لكن عينيه فضحتا سره لجودي. بدت هي الاخرى دامعة وحين اقترب منها عجزت عن الكلام. لمحت بطرف عينها عدداً من الرجال في مدخل الحديقة وشاهدت بذهول بلايك يصافح الحاكم وعائلته ويتجه الى السيارة التي كانت بانتظاره. وعبر ستار من الدموع شاهدت وجهه العابس يلتفت نحوها ثم يدخل ويغلق الباب. لوح له الحاكم بيده وانطلقت

السيارة بعيداً حتى اختفت.

سالت دموع جودي بغزارة. لقد رحل بلايك دون ان يودعها!

٩ - نسيت كل ما حولها. تفتحت كل جراحها وشعرت بقلبها يقطر دماً. ارادت ان تهب للقائه، لكنها تذكرت انه هو الذي ذهب دون ان يودعها. واحنت رأسها دامعة...

ذلك المساء جلس جيري يصغي الى جودي تخبره بما حدث. تجاهلت ما كان من شتائم الأرملة وابتساماتها الساخرة واكدت له ان الجميع قاموا بالمستحيل كي ينقذوها لكن دون جدوى. اكدت له انها انطفأت دون الم وانها دفنت باحترام في بقعة مزهرة.

اطرق جيري بنظره ارضاً ثم سألها:

- ماذا ستفعلين الآن يا جودي؟

اجابته مستجمعة كل شجاعتها:

- سأجد عملاً لي هنا واجمع ما يكفي من النقود كي اسافر الى انكلترا.

نهض جيري. بدا انه شاخ عشرات السنين في لحظات، صافحها

قائلاً:

- انا سأبقى في الركوانا. اتصلي بي اذا احتجت لأي شيء.

رافقته مودعة الى الباب. صافحها مجدداً وشاهدته يبتعد غارقاً في افكاره.

كان الحاكم يعرف ان جودي تبحث عن عمل فعرض عليها وظيفة سكرتيرة في مكتبه لكنها رفضته شاكرة. لأنها فضلت الانتقال الى العاصمة كولومبو حيث المرفأ قريب وحيث فرص العمل متنوعة ومتوافرة. وهكذا، بعد اسبوع من وصولها الى منزل السيد كاندسمي، كانت جودي تستقل سيارة الحاكم الخاصة منتقلة الى كولومبو، بعد ان ودعته وودعت عائلته شاكرة حسن ضيافتهم ومساعدتهم. كان السيد كاندسمي قد اعطاها عنوان اصدقائه في العاصمة وطلب منها ان تنزل في ضيافتهم الى ان تجد عملاً مناسباً وارسل معها كتاباً بهذا الخصوص اليهم.

بدا دان وصوفيا دوسيلفا قمة في اللطف والكياسة. افردا لجودي غرفة واسعة وطلبا منها ان تتصرف بحرية مطلقة لكنها بدأت البحث عن عمل في اليوم التالي. وجدت الأمر اصعب بكثير مما توقعت، راح البعض، وقد ذاعت قصتها، يعاملونها كفتاة مريضة لا يمكنها القيام بأي عمل قبل فترة نقاهة طويلة.

لكن الحظ طرق بابها بعد اسبوع. فقد ارشدها دان دوسيلفا الى مكتب سفريات كان صاحبه يبحث عن فتاة قديرة تعمل كمرشدة سياحية لديه.

بدا السيد فان مكلوسكي طيباً وكريماً. كان ابيض الشعر بشوش الوجه قبل بها فوراً وعين لها مرتباً وافراً ومنحها دفعة على الحساب كي تستأجر شقة في الجوار.

بعد ذلك جلست جودي عند ضفة البحيرة، وسط المدينة، تراجع ما مر معها من احداث. وجدت ان وضعها يدعو الى الارتياح وان بامكانها الرحيل خلال اربعة اشهر الى انكلترا.

ذلك المساء قدمت جودي الى آل دوسيلفا هدية قيمة شاكرة ضيافتهم. ألح عليها الزوجان بالبقاء لكنها اصرت على استئجار شقة صغيرة لها.

لكن جودي اكتشفت ان الايجارات باهظة الثمن في المناطق السكنية من الدرجة الأولى. لم تكن مستعدة لدفع نصف مرتبها كل شهر من اجل المسكن فقررت البحث في احياء المدينة الشعبية.

شاهدت مكتباً يعلن في واجهته عن شقق للايجار فدخلت للسؤال. كان صاحب العمل افغانياً ضخماً طويل الشاربين قادها الى غرفة وضيعة في شارع مجاور. ايقنت انها لن تجد ايجاراً ارخص منه فدفعت بدل شهر كامل ليعطيها المفتاح. وجدت الشقة اسوأ بكثير مما توقعت لكنها قررت انها تصلح للمبيت وهذا هو الأهم. اغتسلت واخلدت للنوم كي تستيقظ في الغد باكراً لتذهب الى عملها الجديد.

وجدت جودي وظيفتها الجديدة مسلية ومثيرة للاهتمام. وجدت لذة في قيادة السيارة عبر القرى النائية والدسكرات البعيدة حيث كان الصغار يتجمعون من حولها بفضول. راح السواح يعجبون بجودي منذ اللحظة الأولى واضطرت لرفض عدة عروض للزواج من اثرياء امريكيين سلبتهم لبهم.

لكن جودي كانت دائماً تتذكر، في تجوالها على الطرق المحاطة بالبساتين والغابات، مغامرتها الرهيبة في الادغال وذلك الرجل الفذ الذي قادها ورفاقها الى الأمان، ساهراً اثناء نومهم وعارفاً طريقه

حين يكونون في حيرة من امرهم.

كان بلايك يعود ايضاً الى ذاكرتها مع الفجر، حين تطل من غرفتها على الشوارع الغارقة في الظلام وتسمع من بعيد صرخات طيور الغابة وكأنها تدعوها للعودة الى الادغال. كانت جودي تنظر بتمعن الى كل شخص تلمحه يرتدي ملابس كاكية ويسير بخطوات واثقة عله بلايك. دائماً كان املها يخيب وكثيراً ما اعترفت لنفسها بان ما تفعله هو ضرب من الجنون. كانت متأكدة من ان بلايك قد عاد الى كاليوا وبانها ستكون في انكلترا حين يقوم برحلته التالية الى كولومبو.

مرت الأسابيع. حل شهر ايار ومعه الأمطار الموسمية الغزيرة. اصبح العمل خفيفاً فاغتنمت جودي الفرصة لاكمال استعداداتها لمغادرة سيلان. علمت ان الباخرة تابوربان ستغادر الى انكلترا في آب وانها ستكون قادرة على دفع ثمن تذكرة السفر.

مع حلول منتصف ايار راح موسم السياحة يزدهر مجدداً. عملت جودي ساعات طويلة تنقل السواح بسيارتها الكبيرة الى كل انحاء سيلان. فيسعدون ويمنحونها بقشيشاً وافراً تمكنت بواسطته من ابتياع افضل الملابس استعداداً لرحلتها الى انكلترا. في آخر تموز ابتاعت بطاقتها للسفر على متن التابوربان التي رست في مرفأ كولومبو في الثاني من آب، على ان تغادره بعد ثلاثة ايام.

انهت جودي عملها مع مكلوسكي في اليوم الذي رست فيه الباخرة. كانت قد عادت للتو من رحلة لسواح هولنديين قرب الشاطىء. للمرة الأخيرة اوقفت سيارتها في مرآب الشركة ودخلت الى مكتب المدير لتسليمه المفاتيح والكتيبات السياحية.

كان فان مكلوسكي حزيناً لقرارها. اعطاها آخر ما تستحقه من

نقود مع منحة صغيرة. ثم رمى قلمه ارضاً وقد نفد صبره. اعاد طرح السؤال عليها:

- ألن تغيري قرارك هذا؟ احقاً سترحلين؟

- لقد اعلمتك بذلك منذ اسابيع.

- اعلم يا جودي. ولكن الا تكرهين مغادرة هذا البلد الجميل؟ انا هنا منذ ثلاثين سنة ولا زلت اشعر فيه بسحر غريب!

صمتت جودي. ارادت ان تشرح له ان اجمل ذكرياتها ستبقى في سيلان، ان تخبره ان رحيلها ليس بالأمر السهل ابداً، لكنها عوضاً عن ذلك صافحته بحرارة مودعة وانطلقت. كانت قرب الباب حين ناداها:

- جودي... هناك خدمة اخيرة اريد ان اطلبها منك!

- بالطبع يا فان. ما هي؟

- انت تعلمين ان احتفالاً كبيراً سيقام في كاندي غداً صباحاً وكل السواح سيرغبون بمشاهدته. هناك مجموعة منهم وصلت متأخرة ولم اجد سائقاً متفرغاً لاصطحابهم. الا انت!

ضحكت جودي وربتت على كتفه.

- حسناً... انت صديق لي ولن اتخلى عنك!

- شكراً يا جودي. كنت اعرف انك ستقبلين وقد اضفت اتعابك سلفاً على تعويضك.

ضحكت وقالت له مودعة:

- سأترك السيارة قرب المكتب حين ينتهي الاحتفال واعيدهم الى الفندق!

امضت صباح اليوم التالي في توضيب امتعتها القليلة وتنظيف غرفتها، تاركة كل ما لن تحتاجه في انكلترا. بعد الغداء اتجهت سيراً

الى مكتب السفريات وقد بدت فائقة الاناقة بزيها الأزرق كمرشدة سياحية. حين وصلت كانت كل سيارات الشركة تعج بالسواح الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر الوصول الى كاندي لرؤية احتفالات البيراهيرا التي يستعيد بها السيلانيون، عاماً بعد عام، مواكب ملوكهم الضخمة وماضيهم العريق.

كانت الرحلة من كولومبو الى كاندي جميلة ومسلية تشرف على شلالات رائعة وراح الركاب خلالها ينظرون الى ما حولهم بفضول واعجاب.

حين وصلت كانت البلدة تضج بالحركة وقد رفرفت اعلام ملونة ومزركشة فوق كل الابنية فيما راح المحتفلون يتجمعون في صفوف طويلة ملونة. كانت كل سيارات مكلوسكي قد وصلت الى كاندي ونزل من فيها من ركاب الى فندق المدينة الرئيسي.

تركت جودي ركابها وانصرفت لترتيب هندامها. مشطت شعرها وتأملت وجهها طويلاً في المرآة. كانت عيناها، منذ الأشهر الأخيرة، تنمان عن الكآبة وعن حزن دفين حاولت عبثاً اخفاءه.

تسللت خارج بهو الفندق المكتظ بالسائحين وجلست تحت شجرة عطرة في الحديقة المجاورة. كان ضوء القمر يلقي على المكان جواً شاعرياً وينير صفحة البحيرة بوهج غريب.

ايقظها وقع اقدام من تأملاتها. كان ركاب سيارتها يبحثون عنها لتشاركهم العشاء. باستسلام رافقتهم الى المطعم وحاولت جاهدة اخفاء ما يدور بفكرها تحت ستار من المرح.

بدت حلبة الرقص مكتظة. لكنها راحت تفرغ تدريجياً حين نظرت جودي الى الراقصين. كانت لا تزال تحاول مجاراة رفاقها في ضحكهم ولهوهم حين شاهدته يقف متأنقاً بزيه الرسمي امامها.

بلايك!

كان وحيداً وضائع النظرات. راقبته بجيل نظره في من حولها ثم رأت المفاجأة تكتسح وجهه حين شاهدها.

نهضت بذهول تحدق به. نسيت كل ما حولها. تفتحت كل جراحها وشعرت بقلبها يقطر دماً. ارادت ان تصرخ، ان تهب للقائه، ان تفعل شيئاً لكنها تذكرت انه هو الذي ذهب دون ان يودعها. احنت رأسها دامعة وحين نظرت نحوه مجدداً كان قد اختفى. دوى صوت مدفع كبير ايذاناً بافتتاح الاحتفال وتدافع الجميع الى الخارج.

بعد دقائق اوصلت جودي ركابها الى حيث تنطلق المسيرة. كان المكان مكتظاً وصرخ الجميع بحماس حين بدأت الأفيال الضخمة بأغطيتها المزخرفة تتقدم بعظمة وسط صفين من المشاعل. اما جودي فكانت تبحث بين مئات الوجوه الغريبة عن وجه واحد يعني لها اكثر من كل ما في ذلك الاحتفال من حياة وسرور لكنها لم تجده!

١٠ - انها تختنق حزناً وندماً. لماذا لم تشرح له حقيقة الأمر، لماذا لم تخبره ان جيري مجرد صديق لا اكثر؟ لماذا تركته يذهب حين كان في متناول يدها؟

كانت رحلة العودة الى العاصمة بعد انتهاء الاحتفال مهمة شبه مستحيلة بالنسبة الى جودي التي راحت تشاهد وجه بلايك اينما التفتت. اكثر من اي وقت مضى ارادت ان تهرب، ان تترك سيلان وكل ما فيها من ذكريات وتبدأ صفحة جديدة في بلاد جديدة. ودعت الركاب الذين عادوا الى فندقهم واوقفت السيارة لتصعد باكية الى غرفتها.

حاولت ان تنام خائفة من متابعة التفكير ببلايك. كان يبدو حزيناً وقد وقف لوحده وسط تلك الجموع الضاحكة. قررت ان ما حصل قد حصل وان لا فائدة ترجى من البكاء على الاطلال.

حين استيقظت في الصباح اسرعت تعيد سيارتها الى مرآب مكتب

السفريات حيث اوقفتها وسلمت مفاتيحها الى الحارس. قررت الذهاب الى السفينة ولو باكراً وحين خرجت مصممة على ذلك فوجئت ببلايك يقف في الجهة المقابلة من الشارع. رآها في اللحظة نفسها فانطلقت تعدو. قدرت انه عرف مكان عملها من زيها ومن شعار سفريات مكلوسكي عليه لكنها قطعاً لن تدعه يعرف اين تسكن. حاولت ان تضيعه بين الجموع لكنه كان سريعاً. ايقنت ان لا مفر من مقابلته فحاولت السير بهدوء وكأن الأمر لا يعنيها. كان يصعد الدرج وراءها حين وصلت الى غرفتها، وحين التفتت لاغلاق الباب كان قد دخل.

كان الاثنان يلهثان تعباً. تبادلا النظرات الصامتة لوهلة ثم اجال بلايك نظره في الغرفة. شاهدت وجهه يلمع غضباً وهو ينظر الى الجدران الرطبة والأثاث المشقق. سألها حانقاً:

ـ لماذا لا تسكنين عند جيري سومرز في الركوانا؟

ذهلت جودي وكادت تفقد الوعي. بلايك لا زال يظن انها حبيبة جيري، فهو شاهدها معه في حديقة الحاكم كاندسمي حين تركها دون وداع. كانت حانقة ودامعة حين اجابته:

ـ الأمر لا يعنيك!

صمت بلايك وجال في الغرفة في اشد حالاته عبوساً. سألها بهدوء:

ـ كم من الوقت امضيت هنا؟

ادارت ظهرها دون ان تجيب. توقعت ان يحاول محادثتها مجدداً لكنها سمعته يغلق الباب وراءه.

ـ بلايك!

صرخت واسرعت الى الشرفة تحاول رؤيته. شاهدته يستقل سيارة تاكسي وهنا فقط تذكرت انه كان لا يزال بملابس السهرة، اي

انه امضى الليل بكامله يبحث عنها.

كانت تختنق حزناً وندماً حين ارتمت على فراشها. لماذا لم تشرح له حقيقة الأمر، لماذا لم تخبره ان جيري هو مجرد صديق؟ لماذا تركته يذهب حين كان في متناول يدها؟

بكت كثيراً ثم استكانت. جمعت كل ما بقي من اغراضها وخرجت حاملة حقيبتها الوحيدة. سلمت صاحب الشقة المفاتيح فاستشاط غضباً وطالبها بدفع ايجار شهرين اضافيين. شاهدته يحدق بحقيبتها طامعاً فخرجت بسرعة واستقلت اول سيارة اجرة صادف مرورها وانطلقت نحو المرفأ.

نقدت السائق اجره وصعدت الى متن السفينة. وكأن القدر اراد معاكستها مرة اخيرة فالتقت ببعض السواح الذين رافقوها الى كاندي حيث شاهدها بلايك. تجاهلتهم واسرعت الى موظف الاستقبال الذي ارشدها الى مقصورتها. القت نظرة خاطفة الى ساعتها وتنفست الصعداء. بعد ٢٤ ساعة ستكون في طريقها الى انكلترا.

وضبت امتعتها في الخزائن وذهبت لتناول الطعام. ذهبت للنوم باكراً محاولة تجاهل الضحكات السعيدة في الممر خارج غرفتها.

في اليوم التالي بدأت الباخرة تكتظ بالركاب. كانت جودي تراهم حين تذهب لتناول طعامها لكنها تجنبت التعرف على اي منهم مقررة البقاء في غرفتها حتى تبحر السفينة. لكنها، حين سمعت الصفارات تعلن قرب موعد الاقلاع، خرجت الى السطح تراقب جماهير المودعين على رصيف المرفأ. وحين انطلقت التابوربان انهمرت دموعها ويكت على كل فرصها الضائعة. شاهدت عبر دموعها معالم المدينة الشهيرة تبتعد ببطء، كالحصن البرتغالي وبرج الساعة ومركز البريد وقصر الحاكم والحدائق العامة وقصر المجلس التشريعي.

مع اولى خيوط الليل كانت الجزيرة قد اصبحت بقعة داكنة في الافق. بقيت جودي لوحدها خارجاً فيما دخل باقي المسافرين لتناول طعام العشاء. كانت لا تزال تبكي حين داعبت رائحة مميزة انفها. رائحة زهرة القمر. ولكن كيف؟

- هذه صديقة قديمة انت تسأل عنك!

نظرت خلفها الى مصدر الصوت وشهقت لهول المفاجأة. كان بلايك يقف خلفها حاملاً زهرة القمر في يده. كادت تسقط ارضاً فامسكها بلايك بذراعه القوية. تمتمت بذهول:

- بلايك! بلايك! لكن كيف؟

عاد الى نبرته الواثقة ليجيبها:

- ذهبت لمقابلة جيري سومرز الذي اخبرني بحقيقة الأرملة والحادث وعلاقتك به!

سألته غير مصدقة:

- حقاً؟

جذبها اليه مبتسماً بحنان:

- تعالي يا صغيرتي المجنونة الحلوة الرائعة...

تلاقى قلباهما في عناق طويل ناعس. لم تبتعد عنه، الا حين سمعت صوت موجة قوية تضرب السفينة. كانت تبكي فرحاً حين سألته باضطراب:

- ولكن ماذا ستفعل؟ كيف ستعود الى الجزيرة؟

اجابها بنبرته الواثقة:

- لا تقلقي، امتعني هنا فأنا مسافر معك!

- ولكن... ولكن... (امسكت به جودي كي لا تسقط) كيف عرفت انني هنا؟

- كان جيري يعد العدة لبيع مزرعته حين قابلته فأوكلت اليه امر بيع مزرعتي ايضاً، ثم اخبرني انك، على ما يظن، تعملين لشراء بطاقة سفرك الى انكلترا. اسرعت باعداد حقائبي واتيت الى حيث تعملين...

ضمها بلايك مجدداً ومسح وجهها المبتل. نظر بعيداً الى الافق حيث راحت اولى النجوم تخرج من البحر ثم تابع روايته:

- السيد مكلوسكي رجل رائع. حين عرف انني ابحث عنك اخبرني انك مسافرة على متن التابوربان واوصلني بسيارته الى المرفأ بعد ان قدم لي بطاقة السفر هدية.

كانت جودي دامعة تعجز عن الكلام لكنها سألته بعد جهد:

- الست نادماً لمغادرة سيلان؟

اجابها بلايك:

- لا، كنت استعد لذلك منذ زمن وقد حان الوقت لنعود الى الوطن.

سألته جودي بفضول:

- ماذا ستفعل في انكلترا؟

- سأبتاع مزرعة.

اجابها مبتسماً ليتابع:

- مكان مناسب لزوجين عجوزين. وانت، هل تغادرين سيلان بندم؟

اجابته جودي:

- لا، انها تحمل لي ذكريات جميلة واخرى أليمة جداً.

سرحت بنظرها الى البعيد. كان بلايك يعرف انها تتذكر، مثله، صبياً صغيراً باسم الوجه كبير العينين دفناه معاً في الأدغال.

- سيكون لنا داتو آخر يا جودي. رمادي العينين اصهب الشعر...

تعانقا بصمت تحت السماء المرصعة بالنجوم. ترامت الى اسماعهما الألحان الحالمة الجميلة فجذبها من يدها واتجها الى الباحة الكبيرة في الجهة الأخرى من السفينة. هناك كان العشرات يرقصون على انغام الموسيقى الجميلة. وتأمل دموعها البراقة تنحدر مجدداً لتسقط على كتفيه. داعبت يده شعرها وهمس في اذنها برفق:

- كم احب دموعك يا زهرة القمر!

ابتسمت وأخذها بيدها الى حلبة الرقص...

www.elromancia.com